جمعية الأدباء
كتاب الأدباء
(٣)

قصص مصرية

القصص المتميزة

جمعية الأدباء
كتاب الأدباء ـ الكتاب الثالث

الناشـــــر : جمعية الأدباء
١٠٤ شارع القصر العينى القاهرة ت : ٧٩٦٤٣٩٩
المـــؤلـــف : الفائزون فى مسابقات الجمعية لعام ٢٠٠٤
الأشـــراف : الشاعر محمد التهامـى رئيس الجمعية
الشاعر أحمد سويلم نائب الرئيس
الشاعر / د. يسرى العزب السكرتير العام
الكاتب نهاد شريف أمين الصندوق
الأديب رفقى بدوى مقرر لجنة المسابقات
الروائى فتحى سلامة مقرر لجنة النشر
الغـــلاف : الفنان / عصمت داوستاشى

رسالة جمعية الأدبـــاء

تحمل جمعية الأدباء مشاعل الثقافة متمثلة فى فنون الكلمة أدبا وعلما نثرا وشعرا وقصة ونقدا ومسرحية ورواية .. وتحاول جهد الطاقة المتاحة أن تضىء بالكلمة الرائعة أعماق المتلقين وان تتابعهم بها أينما كانوا ما استطاعت لتزين لهم العطاء الثقافى إبداعا واستقبالا وتغريهم به وتدفعهم إليه وتحببهم فيه .

ومن وسائل الجمعية إلى ذلك عقد المسابقات التى تثير المواهب وتزكى المنافسات وتستحث القدرات على الاجادة والتفوق .. وبها ينال النابغون بعض ما يستحقون ماديا ومعنويا ابتغاء مرضاتهم بأن المجتمع يحتضنهم ويرعاهم مما يضاعف عطاءهم .

ثم تحمل الجمعية هذا العطاء المتفوق صحفا وكتبا تطوف بها على القراء بأيسر الاسعار لتكون زادا ثقافيا وثمارا ناضجة أدبية وعلمية دانية القطوف تتيح للمسيرة الثقافة زادها وزوادها وتوفر للثقافة الرفيعة الوسيلة التى تمكنها من صياغة أعماق المتلقين صياغة مثقفة رفيعة تجعل من الانسان أداة فاعلة فى التطور إلى ما هو أحسن ثقافيا وعلميا وأدبيا وبالتالى انتاجا فى جميع الوجوه المدنية والحضارية .

تحاول جمعية الأدباء أن تجعل من الطاقة البشرية وهى العنصر الأساسى فى التقدم فى الحياة أداة فاعلة أقصى الفعالية بدلا من أن تكون عبئا ثقيلا تنوء به الدول الناهضة التى تلهث وراء توفير الحاجات الضرورية .

وتبذل الجمعية فى هذا المجال أقصى جهد أعضائها عن إيمان وصدق واخلاص ونكران للذات معتمدة على الله شاكرة ما يتاح لها من عون فى أى مجال من المجالات .

والله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ..

محمد التهامى
رئيس الجمعية

مقدمة الكتاب الثالث

بقلم فتحى سلامة

افرزت مسابقة جمعية الادباء ، مجموعة من القصص المتميزة التى تدل على أن فن القصة المصرية تحديداً والعربية تطور قطورا كبيرا فى كافة المناجى وتميزت القصص التى قدمها أصحابها إلى المسابقة بعدة خصائص نجمعها فيمايلى :

أولا : أن فن القص العربى قد ازاح عن كاهلة الطرق التقليدية التى كبلته كثيراً من قبل وكانت تجعله مجرد رافد للقص الغربى وتقليدا الفنون القص الأوربى واستطاع القصاصون أن يتفردوا بخصائص تميزهم عن غيرهم .

ثانياً : من ناحية المضمون أو الموضوع الخاص بالقصة يعد مضمونا ناضجاً وشموليا ، ونجح المتقدمون فى تقديم موضوعات جديدة عبرت بصدق عن الكثير من الهموم الاجتماعية والأسرية على وجه الخصوص .

ثالثاً " تخطت القصة المصرية عقبة كانت تجعلنا ننفر من ملاحقاتها وانصراف القراء عنها ، وذلك بالتحلى عن اللغه غير السليمة التى كانت منتشرة فى كتابة القصة . لقد استقامت اللغه إلى حد كبير لم تعد طرق الإهمال فى اللغه والميل لاستخدام اللهجة العامية . تظهربوضوح .

رابعاً : نلاحظ أيضاً أن (الهم الجمعى) الذى يحيط بمجتمعنا حالياً ، والظروف المعاشة ، والإحساس بالخطر الداخلى والخارجى ، إن الكاتب الأن لم يعد معزولا عن الواقع ، ولهذا اختفت الرومانسية التى كانت تغطى العمل القصصى ، أننا الأن نشعر بنبض العصر ومخاوفه خلال القصص المتقدمة

وأعتقد أن المسابقة نجحت فى اكتشاف وإبراز العديد من المواهب الجادة والمبشرة من أمثال

صلاح معاطى

محمد الفخرانى

محمد سليمان

سمير شوقى

عفت بركات

وائل وجدى

محمود أو عيشة

أيمن محمد يس

ونعتقد أن العمل الفائز الأول يستحق ، وأن كان الرأى أيه المنافس لهذا العمل كان الفائز الثانى (بنت ليل) أقصد مجموعة محمد الفخرانى ، وعموماً لقد فازت الجمعية بقدر ما ، فاز هؤلاء ، فازت الجمعية بأعمال جيدة ومبشرة.

أما صلاح معاطى ، فهو واضح العبارة ، رشيقه (اللفظ) يعرف لماذا يكتب، وقد قرأت مجموعته عده مرات ، واستبشرت به خيراً ، والموضوع عنده هو المعيار الأول ... وهذا جيد ، ثم يأتى عنده فى المرتبه (المعمار الفنى) ويبدو هنا تأثرة بالفرضية العلمية ، وهو منهج علمى سليم استخدمه صلاح فى القص ، لهذا شعر (بعض القراء) بالجفاء تجاهه ، ولكن هذا الاتجاه يحسب له لاعليه ، وبعض قصص المجموعة تحمل صورا وخيالات مرسومة جيداً .

يأتى محمد الفخرانى ، وقد نجح فى شق طريق قصصى خاص به لديه الاحساس الفنى المتميز ، ولديه العبارة الرشيقة الجيده وأفكاره الجديدة غير المطروقة من قبل أما قصة سمير شوقى سليمان (أفيون) تدل على الحس الفنى المرهف وقد حاول أن يحس مشكلات المجتمع وعبر عن ذلك بفنية جيدة وبعبارة جزلة .

قصة عفت بركات أخذت اتجاهاً فنياً أعجبنى ، وأنا هنا لا أتحدث كنا قد محترف إنما اتحدث كصانع أحاول فهم أعمال غيرى ، أحيانا أتعلم من قصص الزملاء وأحيانا أغضب لسقوطهم فى هنات كانت سبباً فى تأخر ترتيبهم، لهذا اقترح على كل الزملاء عدم الاكتفاء أن التعدد بحر عميق واسع لاشطآن له ، يغرق المفترف كما يغرق الهاوى ، المهم ماذا يقول الكاتب فى قصة والسؤال لماذا يكتب ثم يأتى كيف يكتب لأن هذا يدل على شخصية الكاتب ويدلل على مدى إلمامه بعلم القصة .

وعلى هذا النحو نظرت إلى قصص محمود أبو عيشة ووائل وجدى وأيمن يس ، لقد أعجبتنى أعمالهم بشكل جيد وواضح ، واعجبتنى اللغة السليمة الفصيحة فى الدلالة كما أعجبنى البناء المعمارى المتميز.

أرجو لكل هؤلاء التوفيق ، كما أرجو للجمعية المزيد من النجاح واستمرار نشر كتاب الأدباء لكافة الأدباء ولكافة الاتجاهات .

أولاً

الفائزون فى مسابقة

المجموعة القصصية

قصص : صلاح معاطى ... من مجموعة

(بدرية بالخلطة السرية)

الصادرة عام ٢٠٠٢

والفائزة بالمركز الأول

الرأس الملتهب

رأس وذيل .. رأس أسود وذيل أبيض .. الرأس يسير بسرعة فوق بساط بنى اللون .. الذيل صلب لايلتوى ولايلين .. يسير أينما يوجهه الرأس .. ارتسم خط رفيع فوق البساط .. عاد الرأس ثانية إلى موضعه ليرسم خطا ثانيا ثم ثالثا .. أخذ الرأس يروح ويجىء عدة مرات ، ثم ..(تيشت) .. أخيرا اشتعل عود الثقاب بعد عشرات الأعواد رماها دون أن تشتعل ،وبعد نفاد صبر ولعن على الشركة التى أنتجت أعواد الثقاب الفاسدة هذه ..

خمس دقائق وهو يجلس متكورا فوق الفراش يحاول إشعال سيجارة ينفث فيها همومه ومشاكله العديدة .. وتنهد بقوة ..

- هيبه .. كل شىء يتغير إلا أنت . جميعهم صعدوا وتركوك قابعا وحدك فى القاع .. كمال حمدى .. من كبار رجال الأعمال .. رصيده فى البنوك تعدى الملايين ، غير مجموعة شركات باسم زوجته .. خالد شوقى .. عقيد شرطة متقاعد ، وراتب شهرى ثلاثة آلاف جنيه من عمل إضافى بخلاف المعاش .. أمين الشرقاوى .. دكتوراه فى جراحة الأعصاب من جامعة ميتشجن بأمريكا ، ورئيس قسم الأعصاب بجامعة القاهرة ..

أف .. قالها للمرة العشرين حتى أوشك على الانفجار .. أخيرا اشتعل عود الثقاب . قرب رأسه المشتعل من مقدمة السيجارة .. فجأة ألقى بالسيجارة جانبا .

وراح يحملق فى وهج العود غير مصدق .. لقد خيل إليه أن شيئا يتحرك.. لالم يخيل . لقد رآها بالفعل .. أجسام كروية تروح وتجىء فى مركز اللهب .. الأجسام تتحرك بسرعة رهيبة وتصطدم ببعضها لتخلف وهجا

وحرارة ، وتنتج أشكالاً عصوية لها أهداب تتحرك فى كل اتجاه كأنها كائنات أميبية ، ما لبثت أن نمت سريعاً .. وانفصل رأس عود الثقاب عن الذيل وسقط فوق الفراش ..

انتفض صاحبنا .. دفع اللهب بيده بعيدا فحرقت يده .. وقع الرأس الملتهب فوق السجادة وأمسكت بها النار .. اندفع نحو النار يحاول إطفاءها بالماء .. لدهشته لم تنطفئ النار ، بل راحت تبتعد عن الماء واختارت ركنا من السجادة تأكل فيه . لمح المكنسة خلف الباب .أمسكها . دفع بها اللهب بقوة. انتقلت قطعة اللهب إلى حجرة الجلوس.. أمسكت بمقعد فوتى .. جن جنونه .. راح يقذف بالرأس الملتهب خارج البيت لتنطلق فى الهواء وهو خلفها ..

الرأس ينمو أكثر فأكثر ، ومكوناتها تبدو أمام عينيه أشد وضوحا كرة ضخمة من اللهب فى مركزها كائنات هلامية تنمو وتتكاثر بسرعة رهيبة ، راحت تنتشر فى كل مكان تدمر ما فى طريقها من أناس ودواب وحدائق وبيوت ومبان انهارت بساكنيها وحولتها إلى رماد تذروه الرياح ، وسادت حالة من الفوضى والذعر بين الناس ، وراحوا يتساءلون :

ـ أتكون هذه هى النهاية ؟ .. هل قدر للبشرية أن تنتهى محترقة بنيران مجهولة ؟ ..

* * *

فى مكان آخر كان هناك رأس بشرى يعمل فى منأى عن هذه الفوضى النارية كان الدكتور أمين الشرقاوى يعتقد أن وراء هذه الكائنات سرًا فسيولوجيًا قد يغير من مفاهيم علم الأحياء على كوكب الأرض ، وربما يكشف عن وجود مخلوقات أخرى تسعى بيننا دون أن ندرى عنها شيئا ..

وراح يتساءل ..

من أين أتت هذه الكائنات النارية ؟ . هل من أعواد الثقاب ؟ .. تكونت مثلا فى مخازن شركة الكبريت نتيجة تعفن بعض المركبات الكبريتية ، فأنتجت نوعا من البكتيريا لانعرفه يمكنه تحمل درجات الحرارة العالية أيكون مصدرها كوكباً تسكنه مخلوقات بدأت تتسلل إلينا لمهاجمتنا والقضاء علينا ؟ ..

ينتبه الدكتور أمين على طرق بالخارج .. أ فى هذه الساعة المتأخرة ؟ !.. يتجه نحو الباب .. يفتحه بحذر شديد .. يندفع رجل غريب إلى الداخل وينهار على أقرب مقعد .. يسرع أمين نحوه وقد راعه ما حدث ، راح يسأل بوجل :

ـ من ؟ من أنت ؟

كشف الرجل عن وجه مشوه من أثر حريق حديث ، وشعر أشعث تطايرت منه رائحة الدخان ، وعينين حمراوين زائغتين تنظران فى كل اتجاه ، وبدأ يتكلم بصعوبة ، بأنفاس متلاحقة فى لهاث كأنه احتضار :

ـ نسيتنى سريعا يا أمين . نسيت حلمى عبيد صديقك القديم .. هل تغير وجهى إلى هذه الدرجة ؟

أومأ أمين محدقا فى وجهه الذى ضاعت ملامحه :

ـ لم أتخيل أن تكون أنت صاحب هذه المأساة يا حلمى ..

ـ لقد اعتدت على المأساة يا أمين منذ زمن بعيد .. إن حياتى كلها سلسلة من المآسى . فليس غريبا أن يحدث لى ذلك ..

صاح أمين مطمئنا إياه ، وهو يربت على كتفه :

ـ لابأس يا حلمى .. لن أتخلى عنك .. سأعمل المستحيل لإنقاذك ، واطمئن عمليات التجميل الآن أصبحت أكثر فاعلية ويمكنك أن تعود مثلما كنت ..

رد بوهن :

ـ ما أتلفته النار لايعود كما كان يا صديقى ، لقد أصبحت أشلاء ، أطلال إنسان فقد كل شىء .. صدرى بداخله نيران متأججة ، قلبى يكاد يتوقف عن النبض ، أحشائى تتمزق من الألم ، رأسى سينفجر من الصداع ،، عيناى ...

قاطعه أمين وهو يقوده إلى الداخل :

ـ دعك من كل هذا الآن ، وتعال معى سأجرى لك بعض الفحوصات ..

كان أمين منشغلا بفحص عينة من دم صاحبه تحت المجهر ، بينما عينا حلمى عبيد لاتفارقان وجهه ، ومضى يقول :

ـ لم تتغير يا أمين منذ أيام ثانوى . دائما كعهدى بك ثابت الجأش صلد قوى أقوى من الظروف .. تصور يا أمين لم أتزوج حتى الآن .

تركتنى كريمة وتزوجت فؤاد الهمشرى زميلنا فى الجامعة . معها حق . ما الذى يجعلها تنتظر إنسانا مثلى أقصى آماله أن يحصل على علاوة بضعة جنيهات كل عام لاتسد رمقا ولاتغنى من جوع ، وفؤاد ينتظر بعربته الفارهة، وفى خنصره خاتم ثمين مرصع بالأحجار الكريمة ؟! هنيئا لك يا كريمة ..

وانفجر فى ضحك هستيرى وهو يردد :

ـ أمازلت يا أمين تنادى بفلسفتك القديمة عن العدل الإلهى وتوزيع الأرزاق؟

رفع أمين عينيه من على المجهر واتجه إليه وهو يقول بصوت هادئ :

ـ لقد وزع الله علينا الأرزاق بالتساوى .. لم يظلم أحدا . أعطى هذا المال وذلك الصحة وآخر راحة البال والقناعة ..

أشاح حلمى بيده وهو يصيح فى سخرية :

ـ عدت ثانية إلى مواعظ الأغنياء . لم أر فى حياتى فقيرا واعظا ، فكيف يعظ وهو يتضور جوعا ؟!

ـ أنت يا حلمى الذى ظلمت نفسك لأنك لم تشعر يوما بنصيبك من الرزق. ورحت تشغل نفسك بأرزاق الآخرين ..

ـ هل توافق يا دكتور على أن نتبادل أنصبتنا فى الحياة ؟ .. يدمر الحريق بيتك ويتشوه جسدك وتعيش فى فقر مدقع ، وحسبك الأيام التى قضيتها فى رغد من العيش ، ودعنى أعش أيامى الأخيرة فى نعيم مقيم .. ما رأيك ؟

صرخ أمين فى وجهه :

ـ مجنون حقير قذر .. لم تتغير قط . دائما تنظر إلى غيرك . الآن أستطيع أن أصارحك بالحقيقة التى كنت أنوى إخفاءها عنك إشفاقا بك .. أنت مريض ، ومرضك لاشفاء منه .. بداخلك خلايا سرطانية من نوع غريب تولد كائنات . فيروسية تعيش فى درجات الحرارة العالية ..

كان حلمى يستمع وهو فاغر فاه ، وبعد أن انتهى أمين تحرك نحوه ببطء وهو يقول فى دهشة :

: تقصد أن هذه الكائنات خرجت من داخلى وهى التى ..

ـ بالضبط .. الكائنات النارية خرجت من أعماقك أثناء زفراتك ، وراحت تبحث لنفسها عن وسط ساخن يتلاءم مع الأتون المستعر بداخلك . لايستطيع علمى المحدود أن يعرف كيف حدث هذا ولكن هذه هى الحقيقة .

قال حلمى وهو يتكئ على المنضدة محاولا الوقوف :

ـ أمعقول هذا ؟!

ـ إنه الحقد الذى يملأ قلبك ، الكراهية التى تشعر بها تجاه الجميع ، السخط والتمرد وعدم الإيمان بالله . كل هذا ولد هذه الخلايا السرطانية الفتاكة ..

انتصب حلمى واقفا وقد تقلصت عضلات وجهه وراح يهذى :

ـ مادام الأمر كذلك فيجب أن أكمل ما بدأته .أخيرا وجدت ما يؤكد وجودى فى هذه الدنيا بعد أن عشت عمرى كله كمًا مهملا لايشعر بى إنسان. سوف أخرج الآن لأبث نيرانى فى كل شىء ، ولن يجىء الصباح حتى يتحول كل شىء إلى رماد ، وانفجر حلمى فى ضحك هيستيرى وهو يتجه نحو الباب ويصيح :

ـ لن أبدا يا دكتور أمين . سوف أجعلك تشاهد بقية فصول المسرحية حتى يسدل الستار ..

أمسك أمين بذراعه قبل أن يصل إلى الباب :

ـ لن تخرج من هنا حتى لواضطررت لقتلك ..

جمع حلمى قبضة يده ودفع أمين بكل قوته فوقع على الأرض .. لمح أمين سكينا بالقرب منه . أمسك بها . اندفع نحو حلمى .. لم يشعر بيده وهى تطعن حلمى عبيد فى ظهره عدة طعنات خر بعدها حلمى على الأرض مضرجا فى دمائه وهو ينظر إلى أمين بعينين لم يزايلهما الحقد :

ـ فعلتها يا أمين .. حتى أملى الأخير فى الحياة قضيت عليه .. ولكن اعلم جيدا أنك لن تستطيع أن تقضى على الكائنات النارية .. لقد تغلغلت

هذه الكائنات داخل قلوبكم ، تمكنت منكم ، وستحطمك مثلما حطمتنى لقد أصبحت مثلى يا أمين . وانفجر فى ضحك هستيرى حتى لفظ آخر أنفاسه.

بهدوء .. جلس أمين الشرقاوى .. أدار قرص الهاتف .. انتظر لحظة ..

- آلو .. شرطة النجدة .. توجد هنا جريمة قتل .. نعم .. أنا القاتل ..

بدرية بالخلطة السرية

ما أن سمعت وقع قدمى على الدرج حتى أسرعت بفتح الباب وعلى شفتيها ابتسامة واسعة ، وقالت بصوت يقطر عذوبة :

ـ مساء الخير يا دكتور .

ـ مساء الخير يا بدرية . كيف حالك ؟

أطلقت آهة قبل أن تجيب :

ـ بخير يا دكتور . نحمده على كل حال .

ظلت واقفة بالباب تنظر لى بوله ، فقلت وأنا أضع المفتاح فى ثقب باب شقتى المواجه لشقتها :

ـ تصبحى على خير يا بدرية ..

ـ وانت من أهله يا دكتور ..

قبل أن أغلق الباب وجدتها تصيح :

ـ على فكرة يا دكتور . ساعى البريد ترك لك رسالة . تسلمتها منه صباح اليوم واحتفظت لك بها ..

دخلت مسرعة لإحضار الرسالة ، ثم عادت وسلمتنى إياها وهى تقول :

ـ ستجد طعام العشاء جاهزا على المنضدة . والبيجامة مكوية فوق الفراش.. ولاتنس أن تطلع على الأرشيف .. فلقد جمعت لك معلومات لابأس بها.

ـ لاأدرى كيف أشكرك يا بدرية ..

ـ لاشكر على واجب يا دكتور .

ـ ولكننى أشفق عليك من هذا التعب والمجهود الذى لا داع له ..

وكأننى سببتها بهذا القول ، فتغير لونها وصاحت بنبرة لائمة :

ـ لماذا تحاول دائما أن تضع حاجزا بيننا ؟ أنت لاتتصور مدى سعادتى وأنا أقوم بهذا العمل .. ألسنا جيرانا والنبى وصى على سابع جار .. .. ثم أنا الذى طلبت منك القيام بهذا العمل عن طواعية . أرجوك لا أريد أن أسمع منك هذا الكلام مرة أخرى .

شكرتها مرة أخرى ودخلت شقتى بينما ظلت واقفة بباب شقتها حتى بعد أن دخلت شقتى ؛ لأننى بعد ذلك سمعت صوت بابها وهو يوصد .. رحت أفض الرسالة .. كانت دعوة من مؤتمر عالمى للهندسة الوراثية وزراعة الجينات..

كان من الممكن أن تلقى بدرية بالرسالة من تحت عقب الباب ، أو أن تضعها على مكتبى ـ فمفتاح شقتى معها ـ ولكنها دائما تحاول أن تظهر لى اهتماما زائدا .. فتتسلم عنى الخطابات وتسلمها لى بنفسها ، وتحتفظ لديها بقصاصات الجرائد والمجلات التى تحمل أخبارا علمية تفيدنى فى مجال الوراثة حيث أعمل . بالإضافة إلى إصرارها على تحضير طعام الغذاء والعشاء لى وتتبرع بغسل ملابسى وكيها وترتيب كتبى ، ولاتنام إلى أن أعود.

والحق أن بدرية لم تكن تفعل معى هذا فقط ، بل مع جميع الجيران .. فما أن تسمع أن جارا مريض حتى تهرع إليه لتعوده وتظل تتردد عليه حتى تتحسن حالته ، وإذا وقع أحدهم فى ضائقة كانت تفك ضائقته مما أفاء الله عليها من مال وفير ورثته عن أبويها رحمهما الله .. ومع ذلك كنت أشعر فى قرارة نفسى أن بدرية تخصنى بالذات بمعزة خاصة ..

مسكينة يا بدرية .. فتاة رائعة فى كل شىء .. فريدة من نوعها .. بها كل المزايا التى يتمنى المرء أن يجدها فى فتاة أحلامه ، لكن يا خسارة الحلو ما يكملش كما يقولون .. بها عيب واحد لولاه ما ترددت لحظة فى الاقتران بها.. الدمامة .. فقد كانت بدرية مع هذه الخصال الحميدة دميمة للغاية .. رأس ضخم يحمل شعرا خشنا كالسلك .. عينان جاحظتان منفرتان .. أنف أفطس كبير .. شفتان غليظتان على فم واسع كالكهف به أسنان معوجة كئيبة.. رقبة مدكوكة متضخمة .. نهدان ضامران بديا أسفل ثوبها كليمونتين ذابلتين ، وكأن الطبيعة امتصت منها عن عمد كل آيات الجمال ، لتتفنن فى إلقاء بشاعتها وقبحها على بدرية دون غيرها من النساء ، فحرمتها نعمة الجمال .. والجمال شرط أساسى بالنسبة لنا معشر الرجال لايمكن تجاهله أو التغاضى عنه ..

وكثيرا ما كنت أتساءل فيما بينى وبين نفسى .. ما ذنب بدرية ؟ ..

لماذا يحكم عليها أن تعيش كالأرض الجرداء ولاتجرى فيها حياة ولا ماء؟.. أليس من حقها أن تعيش ككل بنات جنسها ، فتتنعم بما تهبه لهن الحياة من جمال وحسن وإغراء ، ويدور فى فلكها العشاق والمعجبون ولا تختار منهم غير واحد فقط تهواه ؟ !..

فكرت فى الزواج منها بالرغم من كل شىء ولكننى أدركت أننى سأكون كالمغامر الذى قرر أن يهجر الأرض بجنانها وزهوها وجمالها ؛ ليعيش فوق القمر بخرائبه وفوهاته وصحرائه القاحلة ..

تساءلت ثانية .. لماذا لم يفكر العلم فى حل لبدرية .. لقد وصلنا إلى أدق أسرار الخلية الحية .. تركيبها ، مكوناتها الداخلية ، كيفية التعامل معها ،

الجينات وتنظيمها داخل الخلية ، زراعة الخلايا والأنسجة الحية ، إنتاج أعضاء جديدة من الجسم البشرى حسب الطلب ، وتوجنا هذا التقدم المذهل فى مجال الهندسة الوراثية بوضع خريطة وراثية لتفصيلات الجينات داخل الجسم ، فنستطيع بسهولة استبدال الجينات المعيبة بأخرى جديدة أفضل منها .. لماذا لايضع العلم أياديه البيضاء فى خدمة الجمال بدلا من استخدامه بهوجائية فيزيد من أعداد المشوهين والبلهاء الذين تضج بهم كرتنا الأرضية ..

لحسن الحظ كان موضوع المؤتمر يقترب من وجهة نظرى ، فهو يحض على الاستخدام الأمثل لبرامج الهندسة الوراثية بدلا من أن تتحول تقنيات الهندسة الوراثية وكيمياء الجينات إلى مغامرات صبيانية فى أيدى عابث غير عابئ غير بما يمكن أن يحدث لمصير البشرية من جراء أفعاله الشنيعة ..

عدت من المؤتمر كالمجنون ، كل ما أفكر فيه أن أرى بدرية وكأن الشوق قد فاض بى .. ولا أدرى حقيقة إن كان شوق عالم يلهث وراء كشف علمى جديد، أم شوق ولهان سحرته الدمامة قبل أن يجذبه الجمال ..

فتحت لى الباب وهى تتساءل فى دهشة :

- ماذا هناك يا دكتور ؟

- بدرية .. هل يمكننى أن أطلع على خريطتك الجينية ؟

- أية خريطة يا دكتور ؟ كل شىء عندك على المكتب ..

قلت مسرعا :

- كل ما أطلبه منك نقطة دم واحدة ..

نظرت لى بوله وهى تسبل عينيها :

- نقطة دم واحدة ؟ دمى كله تحت أمرك يا دكتور ..

بعد قليل كانت عينة من دم بدرية أمامى تحت المجهر فى معملى الخاص ، أحاول قراءة خريطتها وفك طلاسمها ومعرفة تركيبها الجينى ..

فى حقيقة الأمر لم تكن بدرية فى حاجة إلى الجمال بقدر ما كانت تحتاج إلى خريطة جينية جديدة .. فقد رأيت أمامى أمراضا وراثية تمتد لعاشر جد .. تشوهات فى خلايا عديدة .. عيوبا خلقية فى عدد كبير من الجينات .. تبلدا وتكاسلا فى جينات أخرى .. لم أيأس .. قررت أن أعمل بصبر وتؤدة ..

كنت أعلم أن الخلايا تجدد نفسها تلقائيا ، فتموت خلايا لتحل محلها خلايا جديدة لها نفس خواص الخلايا القديمة .. كأنها نسخة طبق الأصل منها ..

فى حالة بدرية نحن فى حاجة إلي خلايا مضيفة جديدة تختلف كل الاختلاف عن الخلايا المعيبة التى يعانى منها جسد بدرية . لذلك لابد من عزل هذه الخلايا المعيبة ، ولايمكن أن يتم ذلك إلا فى ظروف كيميائية معينة تنتقل فيها الخلايا المضيفة لتحل محل الخلايا المعيبة ، مع توجيه إشارات معينة للخلايا المعيبة بعدم نسخ جينات من نفس النوع ، وبذلك تتكاثر البلازميدات - وهى جزيئات تقوم بنقل الحامض النووى الذى يحمل الصفات الوراثية الجديدة من خلية بكتيرية إلى أخرى - تتكاثر هذه البلازميدات ذاتيا داخل الخلايا المضيفة ، فتسهل بذلك عملية نقلها من جيل لآخر كعنصر وراثى ، مع قدرة هذه البلازميدات على إضفاء قدرة مقاومة الخلايا المضيفة للخلايا المعيبة، فتنمو الخلايا المضيفة الجديدة طبيعيا ، بينما تنسحب الخلايا المعيبة شيئاً فشيئا حتى تتلاشى ..

وقد بدأ استخدام هذه الطريقة على نطاق ضيق فى بعض عمليات التجميل . مثل تفتيح البشرة وتغيير لون الجلد ..

بعد فترة ليست بقصيرة كنت قد أعددت خلطة مبتكرة من جينات مختلفة مأخوذة من أبدان صحيحة .. منزوعة من أجمل عيون وأدق أنوف وأرق وأعذب نهود .. بدأت أحقن بها جسد بدرية ..

لم أستطع مصارحة بدرية بالحقيقة ، فلم أكن واثقا من نجاح التجربة .. وحتى لا أسبب لها إحباطا يزيد من مشكلاتها إذا باءت التجربة بالفشل .. أفهمتها أنها نوع من الفيتامينات تساعد على ارتواء الجسم وتكسبه قوة ومناعة ضد كافة الأمراض .. لم تكن بدرية عابئة بالفيتامينات ولا المناعة ، فقد كانت اللحظات التى تقضيها معى بين شكشة الإبر وشرب العلقم هى أسعد اللحظات بالنسبة لها .. فقد كانت بدرية تحبنى فى صمت ، ولم تطمع فى أكثر من ذلك .. فهذه هى السعادة بالنسبة لها ، مثلما كان يسعدها أن تداوى مريضا أو تواسى حزينا أو تفك أزمة معسر ..

هذه هى بدرية التى لم يشعر بها إنسان وشعرت بها أنا .. وأرجو ألا يفهم من ذلك أن بدرية كانت تعلق على آمالا أو أنها تحاول أن تلقى بشباكها على.. فهى تعلم جيدا قدر نفسها ، وأن شباكها بدون غزل ولا طعم ..

يوما بعد يوم بدأت ألاحظ ثمة تغيرات على وجه وجسد بدرية .. فالشعر الخشن بدأ يكتسب نعومة وانسيابية .. الوجه الأصفر الكالح تشرب بحمرة الجمال واكتسى نضارة وارتواء .. العينان الجاحظتان سكنتا فى لحاظهما واستبدلت بهما عينين متسعتين نجلاوين .. الأنف الأفطس الضخم تدقق وصار صغيرا مع ارتفاع قليل أكسبه جمالا .. الشفتان الغليظتان ترققتا وتخضبتا باحمرار مثير وشت عن أسنان ناصعة منظمة .. الرقبة المدكوكة

صارت جيدا مستويا يمتد إلى مفرق نهدين ناضجين متوثبين يشعان حرارة وحياة .. الجسد المحنى مع احدوداب استقام مع قامة رشيقة هيفاء ..

كنت كبجماليون الذى دفع ببريق الحياة داخل الحجر الصوان فجعله يتحرك.. كلانا يعمل بطريقة واحدة بحثا عن الجمال .. الفرق بيننا .. أن بجماليون مادته الحجر ، وأنا مادتى الخلايا والجينات .. فدفعت بماء الحياة داخل الجسد الذابل لأحول القبح إلى جمال والدمامة إلى فتنة .

لم تصدق بدرية عينيها وهى تنظر إلى نفسها فى المرآة ، وراحت تقبلها بين يديها كأنها ترى صورة فوتوغرافية لإحدى ملكات الجمال ..

رحت أؤكد لها :

ـ أجل أنت يا بدرية .. فلا يمكن للعلم أن يقف عاجزا أمام الدمامة ، ولايمكن للقبح أن يسود على حساب الجمال ..

وصارحت بدرية بكل شىء .. أخبرتها بالخلطة السرية التى حولتها فى أيام قلائل من فتاة دميمة إلى ڤينوس جديدة .. تسحر بعينيها العقول ، وتذوب على لحاظها القلوب .. لدهشتى وجدتها تندفع نحوى بقوة وتعانقنى بانفعال وهى تجهش :

ـ إننى مدينة لك بحياتى .. بجمالى .. أستطيع الآن أن أصارحك بما أكنه لك فى قلبى من زمن ، وكان قبحى يقف حائلا بيننا ..

قاطعتها قبل أن تكمل جملتها :

ـ وأنا أيضا أحبك يا بدرية .. وربما الذى شجعنى على القيام بهذه التجربة الفريدة هو حبى لك ..

وتزوجت بدرية .. كنت أشعر حين أضمها إلى صدرى أنى أضم زهرة

وضعت بذورها وجلست بجوارها أترقبها وهى تنمو حتى أثمرت وأينعت وتفتحت على يدى . أحفظها عن ظهر قلب .. فكم تبلغ سعادتك عندما تعرف التركيب الجينى للإنسان الذى تحبه ، بل وتستطيع أن تغير فيه وقتما تشاء إذا طرأ طارئ جديد غير مرغوب فيه ..

كثيرا ما كنت أرمقها فى سعادة وهى تقف أمام المرآة بالساعات لتصفف شعرها وتضع المساحيق على وجهها فأقول لها :

ـ لست فى حاجة إلى أية مساحيق يا بدرية .. فجمالك طبيعى ..

فتقول لى :

ـ البحر يحب الزيادة يا عزيزى .. والجمال بحره واسع .

ثم سألتنى دون أن تفارق عينها المرآة :

ـ هل تعتقد أنى سأفوز لو تقدمت إلى مسابقة ملكات الجمال التى ستقام الأسبوع القادم ؟

ـ بلا شك .. سوف تسحقينهن جميعا .. وبالفعل فازت بدرية بجدارة ، واستحقت لقب ملكة جمال الكون ..

كنت سعيدا لسعادتها .. مبهورا بجمالها الندى الذى يزداد يوما بعد يوم.. ثمة شىء بسيط بدأ يلفت انتباهى وجعلنى أشعر بالقلق .. تعلقها بالمرآة بشكل مبالغ فيه أنساها أشياء كانت قد اعتادت عليها وهى دميمة .. مثل زيارة الجيران والاطمئنان عليهم .. فلم تعد تزور أحدا ولا تستقبل أحدا .. دأبها على جمع قصاصات الصحف التى تحمل أخبارا علمية .. هجرت القراءة والاطلاع ، وأصبح الاطلاع إلى وجهها فى المرآة أكثر إمتاعاً من الاطلاع إلى كتاب .. اهتمامها بأعمال المنزل كالطهى وتنظيف الملابس وكيها

التى كانت متعتها الوحيدة قبل أن نتزوج كفت عنها ، وأصبحت أقوم أنا بها أحيانا إن لم ألجأ لمطعم أو لكواء مؤثرا الصمت حتى لا أفسد متعتها بحياتها الجديدة .. فضلا عن دخول مصطلحات جديدة فى حياتنا لم تكن موجودة قبل ذلك مثل البيسين ـ الماساج ـ الباديكير ـ الكوافير ناهيك عن فواتير المساحيق ومستحضرات التجميل التى تفوق التصور .. فلم أكن أتخيل أن الجمال مكلف إلى هذه الدرجة.

والذى زاد الطين بلة كثرة خروجها وتغيبها خارج البيت ، وهى التى لم تكن تخرج أبعد من الشارع المجاور .. وازداد الأمر سوءا بتعرفها على الشلة الذين كانوا يروون جمالها بكلماتهم المعسولة ونظراتهم الجريئة .. وعندما فاض بى الكيل ونفد الصبر واجهتها ..

لدهشتى وجدتها تصيح فى وجهى بانفعال غير معهود ، وقد احتد صوتها بنبرة منفرة :

ـ نعم .. أنت ستتحكم فى ؟ .. أنا حرة ..

كانت صدمة قاسية بالنسبة لى .. فلم أكن أحسب أن الزهرة التى صنعهتا بيدى تحمل بداخلها الشوك .. ولم أدرك أن بالجمال كل هذه الدمامة .. شعرت أنى افتقدت فيها مواطن جمال كانت تتمتع بها أيام كانت دميمة .. ووقفت حائرا بين جمال الدمامة وقبح الجمال ..

أعدت فحص الخلطة السرية ، فقد أكون أخطأت فى تركيبها .. وفتحت الخريطة الجينية من جديد لعلى أجد خطا جديدا يعيد إلى بدرية جمالها القديم الذى فقدته ، ولكننى اكتشفت أنه مهما استطعنا تغيير بعض جينات أو خلايا الجسم ، فلا يمكن تغيير الصفات لأنها عوامل مكتسبة ..

كانت الصدمة الكبرى عندما عادت بدرية ليلا وهى تترنح فى حالة سكر بيِّن وفى يدها سيجارة محشوة .. لم أستطع الاحتمال أكثر من ذلك .. صفعتها على وجهها بقوة وألقيت عليها يمين الطلاق .. لدهشتى وجدتها تضحك فى تهكم ، ثم نفثت دخان السيجارة فى وجهى وقالت .

- عملت طيب .. من الغد سأتزوج غيرك ..

جريت إلى الشارع كالمجنون .. أتطلع فى وجوه الناس .. كنت أبحث عن شىء محدد . فى هذه المرة لم أكن أبحث عن الجمال ، بل كنت أبحث عن امرأة دميمة ، ولكن .. بدون خلطة سرية ..

الفصيلة صفر

كرة حمراء .. وكرة بيضاء .. خرجتا من جوف الظلام .. رقصتا معا لثوان معدودة .. ثم جمعهما شجار .. ما لبث أن تحول إلى معركة حامية .. فرت الكرة البيضاء من بين براثن أختها الحمراء .. راحت الكرة الحمراء تطارد الكرة البيضاء .. لم تدم المطاردة طويلا .. أمسكت الكرة الحمراء بالأخرى البيضاء والتهمتها .. وتحولت الكرتان إلى كرة واحدة حمراء .. راحت تتدحرج باحثة عن فريسة بيضاء ثانية .. ثم انضمت إلى زملائها الحمر الذين أخذوا ينزلقون على الشلال أخذهم تياره إلى حيث لايدرون .. وترددت همهمات فى المكان :

- يوجد كائن غريب تسلل من إحدى نقاط الحدود ودخل متسترا بالظلام :

وانتشر الخبر انتشار النار فى الهشيم .. من أين أتى هذا الكائن ؛ وماذا يريد ؟ هل جاء من الفضاء الخارجى ليعيث فى الأرض الفساد ؟ .. أم أنه جاسوس أرسلته إحدى الدول المعادية ؟ ..

وانسابت الأجساد متلاحمة وتوزعت فى المكان باحثة عن هذا الكائن الغريب .. كانوا يتساءلون فيما بينهم ..

- ترى ما شكله ؟ ما أسلحته ؟ هل ينوى بنا سوءا ؟ ..

وأطبق صمت ثقيل موحش فلا ترى غير أشباح تظهر فجأة ثم تختفى ..

- لم نعثر له على أثر .. يجب تكثيف عملية البحث

لاح شىء من بعيد ثم اختفى ..

- إنه ليس واحدا بل عشرة .. أكثر .. إنهم مائة أو ألف ..

فى لمح البصر ظهرت فصيلة من جنود بواسل اتجهت نحو الهدف .. لم

يستطع الهرب هذه المرة . كان مختبئا داخل أحد التجاويف ، واتضحت ملامحه تحت أضواء المشاعل ..

كائن غريب حقا .. شكله مخيف للغاية بالرغم من ضآلة حجمه لديه القدرة على التخفى والتحول إلى أشكال مختلفة . هاهو يتخذ شكل كرة حمراء تدحرجت أمام الجنود .. فى لحظة أصبح نسرا راح يحلق فى السماء .. ما لبث أن تحول إلى ثعبان أخذ يجرى على الأرض .. فتك به الجنود فى الحال..

كدت أتنفس الصعداء لولا ظهور إحدى الفصائل المعادية من الكائنات الغريبة أطلقت نيرانها السامة فى وجه المجموعة الانتحارية .. يا للأسف .. لم ينج منهم أحد قط ..

بعد دقائق نزلت إلى أرض المعركة فصائل إضافية من الجنود لتعزيز القوات التى انهارت أمام الكائنات الغريبة .. فقتلوا بعضا منهم وأسروا البعض الآخر.. وبالرغم من التجارب التى أجريت على أسرى الكائنات المعادية . فلم يعرف عنها أى معلومات جديدة .. الشىء الوحيد الذى اكتشف أن هذه الكائنات تحتفظ بداخلها بمواد كيماوية سامة تطلقها فتبيد ما أمامها..

اتخذت القوات الإضافية مواقعها على جميع نقاط الحدود لمنع تسلل الأعداء إلى داخل المدينة .. ومن إحدى النقاط الحصينة تقدمت ماسورة مدفع، وأطلقت منه عدة قذائف فى وجه المعتدين ، فقضت على أعداد كبيرة منهم، وتفرق الباقون فى كل اتجاه ..

كانت فرصة سانحة لكى تستعيد القوات المحاربة أنفاسها ..

فانتظمت الأنفاس وعادت دقات القلوب إلى حالتها الطبيعية .. فى نفس الوقت تمكنت أعداد ضخمة من المخلوفات الغريبة من الاستيلاء على إحدى القلاع المهمة تساندها قوات أخرى وقفت متربصة .. وبسرعة أشار رجال المخابرات والاستطلاع إلى الجنود بالتقدم .. ونشبت معركة حامية بين الجنود والكائنات المعادية تهاوت فيها الجثث من الجانبين واختلطت فلم يعد يتبين أصحابها .

ودفعت الإدارة المركزية بأعداد أخرى ، ولكن ماذا تفعل هذه الأعداد أمام عشرات الآلاف من الكائنات المعادية التى انتشرت هذه المرة وبشكل خطير وراحوا يستولون على النقاط الحيوية بالمدينة ..

وأصبح الأمر فى حاجة إلى تدخل قوى خارجية لإنقاذ الموقف المتدهور .. لم ييأس البواسل ، فقد عزموا الأمر على ألا يسلموا مهما كان الثمن ..

فجأة تسلل مدفع كيماوى من إحدى نقاط الحدود . بالرغم من وجود اتفاقية تحظر استخدام الأسلحة الكيماوية .. وأطلق منه المعتدون عدة قذائف فى وجه قواتنا فهلك منهم أعداد كبيرة .. وسلبت عقول بعض منهم فبدوا وكأنهم تحت تأثير مخدر قوى .. لم يعد لديهم القدرة على المقاومة .. بل إن مجموعة منهم اتجهت نحو فصائل الكائنات الغريبة تعاونهم على التقدم والسيطرة على مواقع زملائهم .. وقتل زملائهم إذا لزم الأمر .. كانت فرصة ذهبية أمام الأعداء لكى يستعيدوا نشاطهم وراحوا يستولون على النقاط الحصينة بسهولة ..

فى ثوان معدودة كانت الكائنات المعادية قد أحكمت سيطرتها على المدينة الآمنة ، وسيطرت علي الأجهزة المختلفة فيها ، وراحت تلهتم كل ما تراه

أمامها من الجنود .. وفوجئت بهم يتجهون بخطى ثابتة نحو الإدارة المركزية للسيطرة عليها ..

لمحت ماسورة المدفع الكيماوى وهى تتقدم مرة أخرى من إحدى نقاط الحدود ، فرفعت عينى من على جهاز الفحص الإشعاعى وأنا أصرخ رغما عنى :

- أوقفوا الحقن الكيماوى فورا . يجب عمل نقل دم حالا .. أريد كيسا من دم الفصيلة صفر بسرعة ..

وعدت أنظر بأسى إلى الجسد الممدد أمامى بلا حراك ، وقد بدأ ضوء الحياة يخبو من على وجهه ، ومصمصت شفتى وأنا أحدث نفسى :

- تناقصت كرات الدم البيضاء بشكل مخيف .. تمكن المرض منه تماما .. أصبح ينزف بغزارة ..

عادت الممرضة البدينة تقول بكلمات بطيئة :

- الدكتور أسامة يقول إنها فصيلة نادرة ليست موجودة بالمستشفى كله يا دكتور ..

صرخت فى وجهها :

- المريض فى حالة خطيرة يحتاج إلى نقل دم حالا .. ابحثى فى المخزون الاحتياطى ، وإذا لم تجدى ائتينى بأحد المتبرعين يحمل الفصيلة صفر..

وسمعته ينطق بوهن وبحروف مرتعشة خرجت من بين شفتين باهتتين لا أثر فيهما للدماء ماتت فوقها ابتسامة ساخرة :

- صفر .. !

ثم حرك رأسه ببطء نحو النافذة ، وتعلقت عيناه بالسماء ..

هولوغرافيا

امتطى الزمن صهوة الأزل ، وانطلق يعدو صامتا فى الخواء الممتد إلى ما لانهاية باعثا فيه الحياة فشمل الأشخاص والأماكن .. وكان لصمته رنين مازال يدوى إلى الأبد مسجلا فى الفراغ المسدل على الكون تاريخ الوجود .. فكأننا نخرج من أرحام أمهاتنا لتتسلمنا أنفاق وهمية نعبر من خلالها ذلك الفضاء السحيق الذى نسبح فيه رغما عنا فوق كرتنا الأرضية .

وتمضى رحلة الحياة ونحن سجناء هذه الأنفاق الأبدية التى صنعها وجودنا على الأرض فتستقيم بنا حينا وتنحرف بنا حينا آخر .. تصعد تارة وتهبط أخرى حتى يغلق علينا باب السرداب فى نهاية نفق الحياة .. ولا يبقى منا سوى تلك الأنفاق الدائرية التى عبرنا من خلالها فوق الأرض لتكون شاهدة علينا كأجسادنا .

وهكذا كانت نهاية أستاذى عالم الطبيعة الشهير الدكتور فضالى .. وهو فى حقيقة الأمر لم يكن أستاذى فحسب .. بل كان أبا وأخا وصديقا .. جمعتنا سويا أنفاق عديدة ، وامتزجت أحاديثنا حتى صارت حديثا واحدا ..

كادت عيناى تخرجان من محجريهما وهى تنظر إلى أشلاء جسده الممزقة بوحشية على الأرض ، والدماء تملأ المكان بغزارة .. وتوقفت صرخة فوق شفتى ، وتسلمتنى رعشة أصابت جانبى الأيمن ، ولم أبال بالأجساد المنحشرة من حولى تدفعنى تارة للأمام وتقهقرنى تارة للخلف ليتسنى لها رؤية ذلك الحادث الأليم وهى بين الفضول والجزع ..

وتسابقت عدسات المصورين تلتقط صورا لجثة الدكتور فضالى فى أكثر

من موضع .. فشعرت أنه لم يُحتف به طوال حياته مثلما احتُفى به اليوم ، وأخرجتنى مصمصات الأسى وهى تلوك بين الشفاه ، ويدان تحتويانى لتنأيا بى بعيدا عن هذا المشهد البشع إشفاقا بى .. ولم أتمالك فأجهشت بالبكاء وأنا أردد فى انفعال :

ـ قتله الأوغاد .. نفذوا خطتهم بإحكام ، دبروا جريمتهم ببراعة وفروا هاربين دون أن يتركوا أثرا واحدا يدل عليهم .. حتى الاختراع الذى عكف عليه الدكتور فضالى سنوات عمره لم يسلم من أيديهم ..

ولكن فاتهم أن الأثر الوحيد مازال تحت يدى أدخره إلى حين .. إننى وراءهم بالمرصاد .. سأتعقبهم .. الكلاب .. سأتصيدهم واحدا واحدا ..

سأضحى بركانا يقذف حممه الملتهبة فى وجوههم .. سيصير الانتقام رجلا بلاقلب يقتل ويحرق ويبيد .. نم هانئاً فى مثواك الأخير يا سيدى .. ودعنى لهم .. فالويل لهم ..

كنت قد وصلت إلى بيتى ، فأغلقت الأبواب وأسرعت إلى حجرة مكتبى ، وأخرجت سر الاختراع من مكمنه .. وبدأت أعيد تركيبه من جديد .. وبعد وقت ليس بقصير كان الجهاز معدا للعمل ، ورحت أنظر إليه . كثيرا ما جمعنى بأستاذى ، ومازالت كلماته ترن فى أذنى فيتردد صداها فى أوصالى:

ـ اعلم يا صديقى أن تاريخ البشرية مدون على صفحة ذلك الفراغ المحيط بنا من كل جانب بالصوت والصورة ..

ـ كيف يا أستاذ ؟

أجاب بصوته العميق :

ـ إن أجسادنا مشحونة بشحنات كهرومغناطيسية ، هذه الشحنات تترك

آثارا لها فى الفراغ كلما فقدت قدرا من طاقتها .. ويظل الفراغ محتفظا بنفس خواص الذرات التى خلخلها مرور الجسم من خلاله من حيث تجانسها وشحناتها ..

سكت قليلا .. ثم ترك مكتبه وقادنى إلى شرفة بيته وهو يتطلع إلى الفراغ ويكمل :

- إنها بمثابة تفاصيل ومعلومات حول طبيعة الجسم وكتلته وكيفية حركته فى الفراغ .. تماما مثل بصمات أقدام أجدادنا على الصخور ، فكما تترك القدم أثرها على الأرض يترك الجسم أثره فى الفراغ ..

وتظل هذه الشحنات ثابتة فى الفرغ تحكى قصة الإنسان على الأرض ...

مسكين يا دكتور فضالى .. يالها من نهاية مأساوية ما كانت تليق بك ، فمازال جانب من أحلامك لم يتحقق ، وهو استدعاء أحداث الماضى لمعرفة الحقيقة .. فدفعت ثمنا لها حياتك .. ولو أننى توقعت هذه النهاية بمجرد إعلانك عن اختراعك المدهش الهولوغرافيا ذلك الجهاز الذى يقوم بقراءة الماضى من بين سطور الفراغ وتصويره .. ولذلك قتلوك ..

فكثيرون هم الذين يخشون الماضى ويودون أن يطمسوه ويمحوه من الوجود .. ليتك كنت معى الآن لترى بعينيك ثمرة أبحاثك بعد أن اكتملت .. وأحلامك وهى تصبح واقعا ملموسا بعد أن وصلت الهولوغرافيا بالقاذف الليزرى الذى يستطيع أن يطلق حزمة ليزرية على أى جزء من الفراغ ، فتظهر على الفور صورة مماثلة لصورة الجسم الذى كان يشغل هذا الحيز من الفراغ فى الماضى ..

للأسف .. لم يتسن للدكتور فضالى أن يرى ثمرة أبحاثه ، فقد باءت كل

محاولاته لإظهار الصورة بالفشل ..

كنت شغوفا لمعرفة الحقيقة .. قتلة الدكتور فضالى .. من هم ؟ وأين هم؟

أسرعت أحمل الجهاز ، وانطلقت إلى مكان الحادث ..سلطت الجهاز على المكان رأيت كل شيء كالحلم ..

الدكتور فضالى يجلس على مكتبه .. ثلاثة أشباح تتقدم نحوه ..يطلقون عليه وابلا من الرصاصات .. يسقط مضرجا فى دمائه .. عرفتهم .. عرفتهم.. لن أبلغ الشرطة .. سأتتبعهم وأقتلهم بيدى هاتين .. فالثأر ثأرى والقتيل قتيلى ..

انطلقت فى كل مكان .. فى الشوارع والطرقات والأزقة أحمل الانتقام فى صدرى والهولوغرافيا فى يدى أطلقها هنا وهناك باحثا عن آثار القتلة فى الفراغ ..

فى البداية ظهرت مئات الخطوط المتداخلة فيما بينها .. أدركت على الفور أنها مسارات جميع الأشخاص الذين عبروا من نفس النقطة فى الفراغ خلال الحقب الماضية .. ضغطت أزرار التوليف لتكبير الصورة وتركيزها .. ظهرت أنفاق أثرية .. بدا داخلها أشخاص يتحركون .. كل نفق يحوى شخصا واحدا.. وحسب مسار كل نفق من هذه الأنفاق تستطيع أن تحدد سلوك كل شخص داخل مداره فى الحياة .. فحول المسجد كان هناك عدد غفير من الأنفاق المتداخلة وكأنها شلال من أجسام ملائكية تسعى حول قبس من نور .. وحول البار كان هناك شلال آخر من أجسام هلامية تترنح داخلة وخارجة وكأنها أشباح ترقص حول النار ..

جذبتنى اللعبة .. فانطلقت بسيارتى والجهاز بيدى أستشرف به الماضى

وأكشف عنه الحجب والأستار .. أقرأ التاريخ سطورا فوق صفحات الفراغ المنسية .. فهذا رجل من عصر المماليك يلهب أجساد الناس بسوطه .. وهذه وجوه فرعونية تبنى هرما .. وتلك وجوه تعشق عند الهرم .. هاهو نابليون يضرب أنف أبى الهول .. بجانبه وقف مصرى قديم يبنى أبا الهول .. أشخاص تهدم .. وأشخاص تبنى نفس الشىء المتهدم ..

امتلأت شاشة الجهاز بطوفان هادر من أشخاص وعربات حديثة وقديمة وطائرات وخيول وحمير .. جميعهم يسعون فى أنفاقهم .. يبنون ويهدمون معا. رحت أبحث عن نفسى بين السطور .. فلم أعثر لنفسى على أثر .. انطلقت كالمجنون أبحث هنا وهناك .. أنقب عن نفقى التائه وسط الشلال ، وكأنى لم أولد قط ، أو أنى نسى منسى ..

ارتعدت فرائصى .. فالزمن يمضى بسرعة ولم يعد هناك وقت .. نزلت من سيارتى سريعا تاركا الهولوغرافيا .. اندفعت نحو أبى الهول لأشارك فى إصلاح أنفه المكسور .. ساعدت عجوزا فى عبور طريق .. صليت العصر جماعة فى المسجد .. اندفعت إلى توشكى فشاركت فى حفر القناة هناك .. ونسيت الانتقام ..

قصص : محمد الفخرانى ... من مجموعته

(بنت الليل)

الصادرة عام ٢٠٠٢

والفائزة بالمركز الثانى

من مذكرات فتاة لاتعرف الكتابة

ـ ليس لى الحق أن أغلق عينى وأحلم ..

اللحظة التى تضيع منى وأنا عمياء خاسرة .. سأدخرها لأمى وأخواتى الصغيرات ، فلن أطعمهن أحلاما .. قدرى مصارعة الحياة .. طعنة منها بابتسامة منى .. قسوة منها بقلب طيب منى .. قدرى أهزمها وإلا ماتت أمى وأخواتى بعدى جوعا وعطشا ..

« الحلم حق مشروع للجميع » شعار ساذج يردده المرفهون ..

ـ لو كان لإحداهن أم مريضة وأخوات جائعات ..

أنا خادمة طوال النهار فى أى بيت أجد فيه « لقمة عيش » شريفة .. أعود أول الليل لأمارس مع أمى ما تفعله الملائكة بأرواح الناس الطيبين ، فتنسى أهاتها تحت يدى .. لها معى زجاجة دواء ولأخواتى العشاء وأقلام رصاص وكراسات ليتعلمن القراءة والكتابة فأنا على يقين من أن أمى لن تبرأ من مرضها إلا « على إيد » إحدى أخواتى .. أنا فقط أحاول تخفيف آلامها ..

لابد من أن تكون إحداهن طبيبة لتداوينى أنا أيضا .. حتما سأمرض بعد قليل ..

لاتسخروا منى لأنى خادمة .. لى قلب أستطيع أن أحب وأملأ الدنيا بحبى لكنى لا أؤمن بالروايات العاطفية والكلام الحلو الذى أسمعه فى أفلام الأبيض والأسود.

أعرف أنكم تلعنوننى الآن ومن كتب عنى ، لكنكم لن تشعروا بى وأنتم فى أثواب الحرير هناك وأنا هنا معى حمولتى الثقيلة أحتضن عظام أمى

وجوع أخواتى ..

- يا الله ..

أنا لم أرفع وجهى غاضبة فى وجه السماء مرة واحدة فى حياتى .. «راضية » بنصيبى .. لم ألعن قدرى وأسأل ربى لماذا فعل بى وأمى وأخواتى هكذا ؟!! .. « أنا أحسن من غيرى »..

- أنا فى العلالى ..

لأنى خادمة تتوقف العيون عند خصرى .. أشعر بالأنياب تعض نصفى السفلى والمخالب القذرة تجرحنى . أعرف أنى بعيونهم لست أكثر من ليلة أو « فك عقدة » فى شارع خلفى أو خرابة قديمة .. جسد برىء لفتاة من نوع خاص بطعم الشطة والتوابل الحارقة .. أكلة تفور فى الدم .. رغيف خبز نضج فى عين الشمس يؤكل بسرعة أو على مهل وسيمتعك بشرط أن تأكله «حاف » ..

أعرف أنى « حلوة » وقلبى أكبر من الدنيا كلها ولن أعطيه إلا من يستحق .

- سترنى الله ولن أعرى نفسى .

لست رخيصة « ومهرى غالى » فلينحنوا بين قدمى مليون سنة ولأسخر أنا منهم « وراسى فى العلالى ».

- بياعة الفل ..

أعشق هذا اللقب .. أفرح به عندما ينادوننى به .. لو أشعر الصدق فى الحبيبين لا أخذ منهم (فلوس) .. أعيش على نظرات عيونهم ولمس أياديهم.. الأيام قليلة التى أبيع فيها الفل .. أصنع لقلبى جناحين من ذهب

وأدعه يحلق .. لا أسأله إلى أين ؟ إلى متى ؟

أنسى كل المخلوقات حتى يهبط بى عند أمى وأخواتى الصغيرات .. أخرج من بين ملابسى زجاجة الدواء وأرغفة الخبز الساخن .

- ليس لى الحق أن أغلق عينى وأحلم .

أحتضن أمى وأخواتى بسعادة الدنيا وأحمد الله ..

نسيت أن أذكر أنى لا أكره أحدا ، « ما أقدرش » .. لماذا أكره ؟!! عندما قرأت عليها ما كتبت عنها صمتت حزينة . كنت أعرف أننى لن أستطيع أن أكتب جيدا عن حزنها الكبير والأشياء البسيطة التى تفرحها بشدة. بداخلها أشياء ومخلوقات حزينة ، سعيدة وحدها تتحدث عنها . هى كما قالت عن نفسها « فرسة محال ترويضها » . (ليس لمخلوق الحق أن يغلق عينيه ويحلم بها).

أربع برتقالات بطعم الـ .. « المطر »

الليل .. المطر .. شمعة صغيرة تتوسط منضدة فوقها بقايا طعام العشاء ، تحترق على مهل لتنير الصالة الضيقة لامرأة جالسة بإحدى زواياها عند النافذة .. طفلتها تحت ذراعها ، تدخلها مسامها الدافئة .. ثديها الساخن بين يدى رضيعها يودع حليبها فى دمه ويأنس بدقات قلبها ..

كلما ازدادت طرقات المطر على زجاج النافذة أزاحت الستارة وأطلقت عينيها تبحثان عنه تحت برق السماء .. كان قادما ، يقفز بخطوات واسعة ، يحتمى بالجدران . يحمل بيديه كيس الفاكهة .. التقت عيناها بعينيه لحظة مروره أمام النافذة .. تركت الستارة .. غادرتها لهفتها تتعلق بالباب .. فتح .. دخل .. أغلقه بسرعة .. توقف عند المنضدة .. وضع فوقها كيس الفاكهة دون كلام .. فك أعلى أزرار معطفه .. فتح يديه ، مررهما ببطء فوق لهب الشمعة ، يدفئهما .. رفع عينيه لحبيبته الدافئة .. لهب الشمعة يتماوج راقصا فى نظراته .. ابتسم .. ابتسمت ..

همست له وهى تثبت حلمتها بين شفتي رضيعها ..

- كلت غصب عنى عشان أرضعه .

الطفلة تفتح عينها تريد أن تفاجئهما .. تهتف ..

- أنا لسه يا « بابا » هتاكل معاى ؟

تترك مكانها ، تأتيه جريا .. يفتح لها حضنه .. يضمها .. يبتل وجهها .. يتذكر معطفه المبتل .. يحتوى وجهها بكفيه ..

- إيديك حلوة يا « بابا » .. هاتهم معاى .

يترك لها يديه .. تقبلهما .. تضعهما تحت خدها .. تنام لحظات ..

ـ جبت لى البيانو أبو صوابع ؟

ينطفئ نور الشمعة فى عينيه . يحنى رأسه صامتا ..

الأم تمنع غضب السماء .. تدفع صواعقها تقول لطفلتها ..

ـ إنتِ مش هتاكلى مع « بابا » ؟

ـ الابنة تضىء الشمعة ..

ـ إنت نسيته يا « بابا » وهتجيبه معاك المرة الجاية .. مش كده ؟

يحرك رأسه إيجابا .. تقبلها بحنان أمها .. تجلسه أمام المنضدة ..

تفتح كيس الفاكهة تخرج منه أربع برتقالات .. تقشر واحدة تعطيها للأب..يأخذ نصفها .. تأخذ أحد الفصوص الأم .. تقتسمانه بالعدل .. تحاول أن تطعم أخاها الرضيع .. يتشبث بثدى أمه .. تلتحف ذراع أمها ، تدخل دفأها ..

لم يأكل .. أخرج من معطفه آخر سجائره . أشعلها من لهب الشمعة .. نفث دخانها مرة واحدة ونسيها بين أصبعيه .. يتأمل صامتا حبيبته / زوجته تتمايل برضيعها كأرجوحة حنون .. يشم رائحة اللبن والطعام الناضج تملأ الفراغ بينهما .. خصلة من شعرها تدخل مع حلمتها فم رضيعتها .. يتأوه .. تنظر إليه .. تخرجها بطرف إصبعها وترفع ذراعها لأعلى تعيدها لرأسها .. يلمح قطعا فى ثوبها تحت الإبط يمتد كشق فى جدار ليصل إلى خصرها ..

يحرك شفتيه لها ..

ـ محتاجة « هدوم » جديدة

تتتبع القطع بأصابعها حتى نهايته ..

ـ أنا حلوة كده .

تبتسم .. يَبْتَسِم لها / معها ..

(لازالت رغم امتلاء جسدها تستطيع بروحها المرحة ، خفيفة الظل أن تنتزع منه البسمة فى أقسى لحظات الدهر عليه).

ـ نفسى أجيب لكم الدنيا كلها .

تغرس سبابتها أسفل ثديها الحلوب ..

ـ المهم إنك هنا .

(كل ملابسها أصبحت ضيقة .. ضاعت ألوانها .. منذ متى لم يشتر لها ثوبا جديدا .. كم مرة اشترت قماشا باعته قبل أن يبتل بعرقها ؟ نسى الألوان التى تحبها . نسيت فقد اعتادت ارتداء ألوانه هو ..).

لم يحب غيرها .. منذ رآها أيقن أن الإله لم يخلق امرأة سواها ..

السماء تهدأ .. تداعب بأشعتها زجاج النافذة .. ينصت لحظات .. يبتسم لحبيبته ..

ـ لسه بتحبى صوت المطر ؟

ـ ضيعت نص عمرى أتفرج على المطر وأسمع صوته

تنتقل بعينيها بينه وبين .. وطفلتها .. ورضيعها ..

ـ ما أحبش أكتر منه غيركم انتو الثلاثة .

ـ أحبك .

يقولها .. تلتقى أعينهما فى نور الشمعة .. يشتاقان للحظة دفء تجمعهما .. الرائحة الطازجة تتصاعد من جسديهما .. يمد لها عروقه .. تشعل له شموعها .. تفترش دفأها فراشا لهما ..

الطفلة تقفز من تحت ذراع الأم تهتف ..

- بابا ..

يغادر فراشه ، ينظر إليها صامتا ..

- أنا مش عايزة البيانو .

- ليه ؟

- أصله ما بيدفيش .. صوابعه مش حلوة زيك إنت وماما .

كواكب السماء تضيء فى عينيه .. الأم تحتضن طفلتها تقول ..

- ياللاّ نغنى احنا .

الطفلة تنظر لأبيها ، تنفض عنها البرد .. تحتضن المطر .

- الأغنية اللى بنحبها يا بابا .

يلقى بقية سيجارته تحت قدمه . يضع يديه فوق المنضدة بين الأطباق .. يبدأ اللحن .. ينقر بأصابعه سطح المنضدة .. الأم تتمايل .. تدندن بصوتها النقى .. الرضيع يترك ثديها ، يحتضن شفتيها بعينيه .. الطفلة تترك مكانها .. تفك ضفائرها .. تقطع المسافة بين الأب والأم رقصا .. اللحن يتصاعد .. النجوم تقترب من النافذة . المطر يشاركهم الغناء . الشمعة تضحك ، تستعيد جسدها المحترق .. يغنى لابنته .. ترقص بين قدميه .. تقبله وتعطى للأم مثلها .

بنت الليـــل

قبور بمدى البصر والآف البشر قامت قيامتهم .. سماء قريبة بلون البنفسج الحزين ونجوم كثيرة كبيرة أتعبها التعلق فى الفضاء هبطت تستريح فوق جريد النخيل وتتمشى بين أعواد الياسمين وتطرق أبواب القبور تبشر من جاء الله بقلب منيب ..

تراب من الخدود الناعمة،وحبات بلح بعدد السنوات المحفورة فى الشواهد.. وكروان يرفرف ويلقى أمر السماء للأرض : الملك لك لك يا صاحب الملك ..

بيوت صغيرة تحاصر القبور بسكانها الأحياء .. بيت واحد كبير يتوسط الجميع تسكنه فتاة فى العشرين يسمونها «بنت ليل» .

« بنت ليل » لأنها تجد أكثر ما تحبه فى الليل فتستطيع أن تقضى ساعات فوق سجادتها فى حجرها مصحفها وقنديل نور يتدلى من السماء فوق رأسها تماما .. تقف على حافة اليوم تتوضأ بماء الغد .. تمد جسرا أخضر يصلها للسماء السابعة ، تجلس عند منتهاه تملأ قلبها بحب الله وتستغفر لأجل أشياء بسيطة ربما لم تفعلها ..

« بنت الليل» .. لأنها بينهم بالنهار وبالليل مع حب الله ..

هرب أبوها من عيشة القبور وعمرها سبعة أعوام بعد ما أنجب أخاها «عبدالله » الذى لايعرف عقله غير سورة « الفاتحة » التى يقرأها لأمه صباحا ومساء .. ماتت أمها بعد عامين من هروب الأب (ليلة موتها كان «عبدالله » يلفها بذراعيه يضمها لحضنه ، يبكى بالفاتحة وأخته تجلس عند شفتيهاتلقنها الشهادتين .. نطقتها وأغلقت عينيها .. جلست « بنت ليل»

للأرض وظل « عبدالله » محتضنا أمه يصرخ يناديها .. يفتح لها عينيها .. يوقفها على قدميها ، يسير بها .. يرجوها أن تطعمه وتسقيه وتأخذه فى حضنها .. يتوسل لها أن تأكل وتشرب من يده وتلصق صدرها بصدره فلا تفعل .. عندما أمسكت به أخته وهمست له : أمك ماتت يا « عبدالله » .. وضعها بهدوء فى سريرها ونام بحضنها ثلاث ليال وقبل أن يستيقظ كانت «بنت الليل» أخذتها ودفنتها فى قبر أخضر صغير تعرفه وحدها بجوار نخلة وشجرة زيتون وعش للحمام .. عندما فتح عينيه ولم يجدها انطلق للقبور ينبشها ويطرق أبوابها بقوة .. يناديها .. يحفر التراب وأصص الزرع ويتسلق النخيل . . يفتش قلوب البلح وأعشاش العصافير وأبراج الحمام .. حتى الآن يبحث عنها وأخته تخرجه من القبور المفتوحة).

« بنت ليل» يعيش معها « عبدالله » فى بيت كبير واسع له سقف من الجريد لا يغطيه كله وباب ضخم مفتوح ليل نهار ..

البيت ملىء بالعشب والزرع الصغير وبعض نخلات قصيرة بجواره أربعة أبراج حمام مرتفعة .. الحمام يهبط فى فناء البيت يأكل العشب وحبات البلح ويشرب من آنية واسعة وضعتها « بنت ليل » فى أماكن متفرقة .. الحمام يأكل من يدها ويشرب من فمها و « عبدالله » يحادثه ويلعب معه ألعابا لايفهمها غيره .. فى البيت أطفال بعدد الحمام وحبات البلح كلهم أيتام ، أو وجدتهم فى لفافات صغيرة بين القبور وأكوام الزبالة فى المناطق القريبة ..

تلتقط الرضيع وتستأجر له ثدى امرأة .. تعرف كل من رضعوا من صدر امرأة واحدة ، عندما يكبرون تخبرهم بأنهم إخوة (كان الطفل يراها بملابسها السوداء تدفن الموتى .. تخبئهم فى بطن الأرض وتلقى فوقهم التراب فيرهبها

ويترك حضنها عدة ليال ثم لايجد له بعد ذلك مكانا أمينا فى هذا العالم غير حضنها فيدخله سعيدا ويتأكد أن « بنت ليل » أمه) .. تحضنهم فى عواء القبور ورعد الريح .. ترشرشهم بالماء كل صباح وتزرع فيهم أعواد الياسمين . تجلس بينهم تعلمهم وتقرأ معهم آيات السماء .. هى تخشى المبانى الشاهقة وترهقها الأضواء القوية الملونة .. تعشق النور الهادئ فى عيون الصغار وضحكاتهم البريئة المنفلتة من نعش الحزن .. تضع بيديها ملابسهم البيضاء وترتب حقائبهم المدرسية . تطعمهم وتغسلهم وتلعب معهم ألعابا سعيدة يشاركهم فيها « عبدالله » .. فى المساء تطمئن إلى أن حب الله يملأ عقولهم وقلوبهم ..

« بنت ليل » تعمل « حانوتى » بالنهار .. ترتدى ملابسها السوداء وتدفن الموتى .. تبنى القبور وترممها وتضع فوقها أصص الزرع .. تزرع الورود وتجمع البلح تقسمه بين اليتامى والمساكين وتوزع « قرص » الرحمة على أطفال « كفر مظلوم » .. تدفن ميتا أو أكثر كل يوم ، وفى الأعياد ترتدى الأسود من أجل أمواتها .. فى الليل تعمل ممرضة فى مستشفى كبير.. ترتدى ملابسها البيضاء وتجمع أرواح الموتى من أغصان الأشجار فى رئتيها وتطلقها فى عنابر المستشفى .. تدحرج قلبها الأبيض على صدور مرضاها وتطمئنهم بأن الله أرحم من الأم بوليدها .. فى النصف الأخير من الليل تعود لأطفالها بحقائب الطعام والفاكهة وضحكات وحكايات سعيدة .. فى الثلث الأخير تفرش سجادتها وتتمشى بين المقابر وصوت الشيخ يتمشى معها وحولها بالثلث الأخير من القرآن ..

هى لاتنسى أبدا سورة « الفاتحة » تمنع غضب الله ، و « يس » لما قرئت

له ، و« الملك » تنجى من عذاب القبر ..

فى المستشفى طبيب القلب العبقرى يقوم بأول زيارة له تستمر شهرا واحدا لينقذ قلوب أولاد بلده الضعفاء من الموت ..

عندما دخلت معه حجرة العمليات ووقفت بجواره كانت تراه يمسك قلوب المرضى بيديه يقلبها ويفتش بعينيه عن شىء لا يعرفه غيره وكأنه يبحث عن كائن من لحم ودم ، سألته خارج الحجرة فأجابها بأنه يفتش عن ذاك الذى يسرق نبض القلب ..

أجابته بهدوء ..

ـ ستعرفه عندما يريدك .

قالتها وتركته ولم يفهمها ..

عندما عرف أنها « حانوتى » بالنهار ذهب معها ليراها وهى تدفن الموتى.. يلقى برأسه داخل القبر خلفها وتسقط عيناه فى فضاء مظلم ويشعر بلسعات الدود على جلده .. يسترد رأسه .. تقف فى وجهه تضحك وتنظر لآخر نقطة ضوء فى عينيه .. يرفع أنفه وينظف نعل حذائه فى رأس القبر .. تنظفه بيدها وتخبره بأنه يقف فوق قلوب بشر آخرين .. يضحك ويركل التراب بمقدمة الحذاء ، ينثره فوق القبور يهتف فيها ..

ـ كلهم أموات .

ترد بهدوء ..

ـ الموتى هم أول من يعرف حقيقة الحياة .

تقولها وتنحنى تملأ يدها بالتراب الناعم وترفعها تحت أنفه ..

ـ شمّ .. لحم ودم .

يبعد أنفه ويدها .. أخبرها بأنه قادر على أن يصنع بيديه شيئا غير قلبه لايخونه .. سيخدع الجميع ويهرب لمكان ما بعد أن يتركوه تحت التراب .. تسند رأسها لنخلة قصيرة تذكره أسماء وملامح من دفنتهم بيديها وتقول له .

ـ كل ما سوى الله باطل .

تنظر فيه ونظراتها العميقة تدخله .. يريد أن يمد يده فيها يبحث عن سرها.. يدخلها ليأخذ منها ما ترميه .. يسألها عن الحب .. تجيبه .

ـ أحب الله .

تقولها فيرتد عنها ويرى مقدساً في عينيها يسقطه تحت ستائرها .. تبتسم وتسأله عن شيء أسمى من الحب فلا يرد ، ويهز رأسه متسائلاً .. تجيبه بهدوء ..

ـ الرحمة .

مد يده مشتهيا طعمها الغريب هاربا فيها من ملاحقتها له ..

نفضت ملابسها على وجهه وملأته برائحة لازمته طويلاً .. صرخ فيها.

ـ خايفة من الأموات ؟!

ـ خايفة ربنا .

قالتها وانحنت ترمى في وجهه تراب الأموات .. دخلت حبات الرمل تحت لسانه تلسعه .. بصقها ووجد نفسه يجري خارج القبور، وحذا يغوص فى التراب ينثره على كتفيه .. فى المستشفى ابتسمت له .. شعر بلدغة فى نن قلبه .. حاول أن يمسكها ، هربت منه .. تكررت ابتساماتها ولدغات قلبه التى بدأت تتسع كدوائر فى بحيرة تملأ صدره .. أرهقه هروبه بقلبه منها وأمواتها.

أدمنها وهى تخرج حافية من القبور تلقى على وجهه طعمها ورائحتها فيتساقط قلبه قطرة قطرة .. جلس فى حجرته يريد أن يفتح صدره ، يبحث عمن يلدغه والأصابع التى تفك شرايينه من ضلوعه .. يرتدى نظارته الطبية ويمسك بالمشرط والمقص ينتظر طوال الليل .. يتظاهر بالنوم والموت .. عندما يأتى النهار ويضرب الأرض بحذائه الضخم يشعر بنبضه يغادره وصدره يمتلئ فراغا بحجم صحارى العالم .. يستند لجدران المستشفى ويبعد بيديه الممرضات والأطباء .. عندما تقترب منه ويشم رائحتها ينفجر قلبه بدقة عنيفة ويشعر بديدان القبور تأكله .. يترك نفسه لها .. تحمله لسريره ويفتحون بوابة قلبه الكبيرة يدخلون كل الحجرات يبحثون عن شىء يصفه لهم.. يراه ويشعر بخطواته .. يتتبعه ولا يلمسه .. يمد يده فى صدره المفتوح ، يفتش عنه .. ينصت للصوت ويقبض على قلبه فلا يجده .. عندما يشعر بها يضغط يدها بيده ..

ـ أنا لن أموت ..

ـ إذن لاتمت ..

تقولها وتربت صدره وتقبل جبهته فتغطيه رائحتها ويغلق عينيه .. كل ليلة يغادر سريره ، يجرى فى عنابر المستشفى يطارد شبحا لطيفا فوق الأسرة والأسوار .. بين المشارط وزجاجات الأدوية حتى أيقن أنه لن يمسك به ، فكان ينتظره فى سريره .. بدأ يراها فى أحلامه وهى تنثر فى وجهه التراب وترفع يدها لأنفه .. تهمس له بإجاباتها غير المتوقعة وأسئلتها المعجزة .. يقفز فى سريره يناديها .. تأتيه جريا .. يدخل صدرها .. تعيده برفق لوسادته .. يمسك يدها ، يضعها على قلبه ويغلق عينيه .. تفتح بيدها الأخرى مصحفها

الصغير تقرأ له .. يفتح عينيه ويرى شفتيها تتحركان ونورا أبيض هادئا يغسل جسده .. يهدأ ويشعر بها آخر الليل تتركه وهى تضع المصحف تحت وسادته وتهمس فى أذنه ..

ـ سيريحك .

ـ يحرك رأسه ، يضعه تماما فوق المصحف .

ليال وهى تقرأ له وتغسله كل مساء .

عندما سألته ..

ـ أمازلت متأكدا من أنك لن تموت ؟

ابتسم بهدوء ..

ـ أنا أضمن لنفسى الموت .. فمن يضمن لى الحياة ؟

مد يده ببطء تحت وسادته يتلمس المصحف .. أخرجه يقلبه بين يديه .. وضعه بجوار رأسه .. فتحه ولم يخبرها بأنه يقرأ ، لم يخبرها بالأشياء التى بدأت تتساقط وتنبت فى قلبه والطائر الأبيض الذى باض فى صدره وعاد للسماء وحمائمه البيضاء التى ترفرف الآن فى أسراب النور داخله .. فقط رأوه يقفز من سريره صباح الجمعة ليجلس فى الشارع تحت الشمس بين المصلين ..

بدأ يأكل معها « قرص » الرحمة التى يأتى بها أهل الأموات وبلحها المروى بحسنات الصالحين .. يجلس بين أطفالها يستمع إليهم .. يتوضأ ويجلس جوارها .. يقبل المصحف ويحفظ ..

.. أساطير يحكيها الناس عنه فى المستشفى وعنها فى القبور وقطعان القطط تسير حولها ليلاً وهى تمشى بين القبور وأسراب الحمام التى تحملها

لتغيب بها بين السماوات ، بيتها الكبير الذى يتأرجح وتظهر بداخله قناديل مضيئة وتخرج منه سيوف النور ..

(فى هذا المساء كانت تجمع أولادها وبناتها بملابسهم البيضاء تجلسهم على الأرض بمواجهتها وتمسك بيدها المصحف ، يقرأون عليها ما حفظوه .. كل منهم يكمل من الآخر ثم يعود إليه الدور وتتعدد الأدوار حتى يقرأوا المصحف كله) .. كان طبيبها العبقرى معها مساء كل جمعة ..

وكلما سألته عن الحب يجيبها بهدوء ..

- أحب الله .

« بنت ليل » كانت تدعو الله ألا تموت قبل أن ترى من أطفالها رجالاً ويهدأ عقل أخيها « عبدالله » .

سكت قلب « عبدالله » ووجدته فى قبر مفتوح منكفئا على وجهه وبإحدى يديه غصن ورد وبالأخرى حزمة من سعف النخيل .. أخرجته ودفنته فى قبر صغير بجوار أمه ومسحت على رأسه وهمست له ..

- أمك هنا .

جلست عند قلبه تلقنه ..

- قل لهما .. الله ربى .. الإسلام دينى .. محمد رسول الله ، اطمأنت أنه ردد خلفها .. هزت النخلة فتساقط سعفها وبلحها على قبره .. أغلقت عينيها ونامت ..

فى الصباح كان عشرة من أطفالها بملابسهم البيضاء يمرحون حولها .. يتقافزون بين قبرى أمها وأخيها ويرفعون شهاداتهم المدرسية بأياديهم .. الابتدائية .. أولى ابتدائى .. الإعدادية .. أولى ثانوى .. مسحت دموعها

ووقفت بوسطهم .. كل ناجح يضع شهادته أمام عينيها ..

ـ شوفى يا ماما .. أنا الأولى .. أنا من الخمسة الأوائل .. أنا التالت ..

هاتى بوسة بقى .

يصنعون حولها دائرة ويأخذونها من يديها وملابسها للبيت .. تدخل وتنطلق من الراديو أغنيات الأم وتتعثر قدماها فى « الحصالات » الصغيرة .. بعضهم فتحها والبعض كسرها ..

الهدايا فى كل مكان .. نصبوا مراجيح فى منتصف البيت .. شموعا وبالونات وألعابا نارية ودبدوبا أبيض كبيرا ..

أدخلوهم فيها وأدخلتهم حضنها وهم يقبِّلون كل ما فيها ..

كان اليوم هو يوم « عيد الأم ».

الحلم الأجمل

بيت صغير ، صغير عند بحر كبير .. أشجار قصيرة مثمرة تطولها يدها ويدى .. أعشاش حمام وعش للقمر .. سماء زرقاء مفتوحة .. ضوء أبيض يضـ ء المسافة بينها وبينى .. جنونى وجنونها وأطفال منها ومنى قدر ما تسمح به رجولتى وأنوثتها ..

حلمنا الأجمل الذى نحياه منذ أكثر من ثلثى عمرها وعمرى .. بيضاء هى كحلمنا .. مؤمنة بقوى الحب الأسطورية .. تقسم لى بحياة « لؤلؤ وفيروز » - أول توأم سنأتى به للحياة - أن حلمنا سيتحقق وأنها ستعاقبنى بأن تغادر حضنى ساعة من الليل لأنى شككت فى هذا .. ترى المستقبل بعيون طفلة ودائما لها الجانب المضئ من الحياة .. أنا أستند إليها وأدفع أيامى العرجاء للأمام .. لا أريدها تشاركنى عذاباتى .. أريد أن أشاركها أحلامها .. تلك البنت التى تعرف متى أحبها طفلة أوامرأة .. عاقلة أو مجنونة .. أنسى العالم معها وتحفر بينى وبين يأسى بحارا يعلو موجها وينكفئ فوقى . يغرقنى بالعشب واللؤلؤ واللذة .. أقول لنفسى فلأحى من هذه الحبيبة لحظتى وليبأس العالم منى أو أيئس منه . فكل منا لايهتم بالآخر ..

عندما جرحت الشمس قلبها وتلونت بعصيرها البرتقالى وهى تنتحر خلف المبانى البعيدة كانت صاحبة الحلم الأجمل تلصق كتفها بكتفى تقيس المسافة بينهما - مازلت أرتفع عنها بأربعة أصابع تسمح لى بأن أحملها من فوق خصرها وتفرش لى وجهها عند حصاد قبلة - تحبنى عندما أنكفئ بعينى فى عينها أسكب فيهما القمر والنجوم - أحبها عندما تقف على أطراف أصابعها

تقترب بشفتيها منى وقبل أن ألمسها تهتز أصابعها وتسقط قبلتى مع قمرى فى عينيها ..

ـ أحبك ..

يبدو أنى لم أسمعها .. لكزتنى بكوعها بجوار قلبى وأخبرتنى بأنها كررتها أربع مرات ..

ـ أحبك ..

انتبهت إليها .. تقولها بسهولة كشروق الشمس وغروبها ..

تعرف متى أحتاج لسماعها .. واثق بأن بداخلها فراشات حبنا ..أترك نفسى لها وأفيق لأجدنى ملفوفا بأوراق وردة حمراء منزوعة الشوك ..

ـ أحبك ..

لا أرد وأراقب حلمها فى عينيها يدور حول قلبها .. فرحة كأعياد الربيع تنسكب فجأة من جفونها لخديها كحبات لؤلؤ وهى تحيط وجهى الجاف بكفيها الصغيرتين ترطبه ..

ـ الأغنية التى تحبها ..

نسيت وجهى فى باطن يديها وفتحت قلبى لحنجرة « فيروز » وهى تسكب الحب داخلى « أنا لحبيبى وحبيبى إلى » ..

أمسكت بطرف ذقنى توجه عينى للأغنية .. راديو قديم بين رجل وامرأة تجاوزا الستين يجلسان فوق « تندة » رخامية بيضاء ..

التفت إليها بحزن ..

ـ لم يتبق لهما من الحياة سوى الحب .

ضربتنى بقبضتها اللينة فى كتفى وأنا أختن فرحتها .. ترفع يديها للسماء تدعو علىّ بحب يقتلنى ..

(لا أعرف لماذا أضحك عندما تفعل بى أشياءها البسيطة وكأنها طفلتى التى لها أن تقفز فوق كتفى وتركل قلبى بقدمها الحافية الصغيرة .. تمزق ملابسى وتلقى على وجهى بالماء الساخن والبارد .. أفعل كل ما أتصور أنه يرضيها لتسمح لى بقبلة صغيرة أو تمنحنى ابتسامة).

أحاطت إبهامى بيدها تغزل حوله حريرها وبدأت تأخذ أصابعى واحدا بعد الآخر حتى أصبحت يدى حبة قمح فى كفها ..

ضحكت ضحكة قصيرة وبدأت تخرج لى أحلامنا الجميلة من جفونها وتهمس بروحها الوردية ..

ـ « سريرنا أبيض بوسادة واحدة حتى لاتهرب منى .. وإياك أن تعطينى ظهرك ».

(بالأمس كنت أمر أمام الفاترينات .. ألوان الحب وكل الألوان البيضاء لا أستطيعها .. علىّ أن أختار لونا لا أحبه وحبيبتى . لم أجد وسادة واحدة تكفى وجهينا وفرحتنا معا .. ، هناك كان رجل ببطن كبيرة وامرأة منتفخة الصدر يشتريان السرير الذى أحبته حبيبتى).

ـ « سنبدأ بالبنات .. بنتين بعدهما ولد ثم بنت بعدها بنت ».

« الورقة فى جيبى ... كل ليلة أسهر عليها بقلمى الرصاص أحاول تقسيم الشقة الصغيرة التى لم نشترها بعد ... أموت لأخلق مكانا لطفلنا الذى سيأتى بعد تسعة أشهر وربما سبعة يمكننى أن أؤخر مجيئه فينهار الحلم بدون الأطفال والبحر والوسادة الواحدة .. يمكننى أن أهجر العالم وأدخل عينى

حبيبتى وأستريح معها وبها منهم »..

ـ « عندما تغضب منى سأجلس فوق ركبتيك وأفتح ملابسك وأزغزغ فمك بفمى وأضع رأسى على صدرك حتى تحملنى لحجرتنا وسريرنا الأبيض وهناك ما أحلىّ مجنون ومجنونة ».

(أحد الحلول التى تزيد الأمر سوءا أن أجد عملا إضافيا أقضى فيه ثلثى الليل مضحيا بأغلى ساعات عمرى مع حبيبتى .. لن يكون هناك وقت «للمصالحة » .. فمى سيكون معبئا برائحة لن تحتملها .. لو غضبت سأهرب من الشقة الضيقة .. فلن نستطيع أن نبنى عشا للقمر فى بيتنا المختبئ تحت الأقدام الضخمة . ألف شيء بينى وبين حضن حبيبتى الجميلة والرؤوس حولنا تطل ملوحة بأوراق ملونة غارقة بلعاب الشهوة ...

وحدى أحبها .. أنا المجنون .. وأنا النصف الآخر من الحلم)..

فى منتصف الشارع أمام الناس أمسكت بيدى ومسحت بسرعة أماكن فى جسدها ألمسها لأول مرة وربما آخر مرة ..

ـ « لن تتذوق قطعة منى ولن تبلل شفتيك بقطرة من رضابى فى ليلة قبل أن أسمع منك أحلى كلام الحب وتكتب لى قصيدة عذراء ».

« الآن اشتهيتك وكأنك فاكهة يأتى موسمها كل عشرة أعوام يوما واحدا.. بعد أن أتناولك عاما ونعتصر مائة ليلة على جسدينا وأعود إليك بعد ثلثى الليل فوق رأسى أقدام ثقيلة وفى ظهرى طعنات لأياد أقوي من مقاومتها ، هل ستظل كلمات الحب الشقية داخلى ؟ .. ألن تسقط رومانسيتى المرحة فى الطريق ؟

بضحكة وهمسة وسر لايعرفه سوانا ؟ .. هل سأغازل فستانك وتسريحة

شعرك .. عينيك وشفتيك ؟ .. أم أنى سأسقط عليك كالسقف المنهار ؟ ..
لو أرغمتنى طواحين الأيام على ذلك فسأقتل نفسى أمام عينيك ».

ـ ذات مساء رأيت الرجل ذا البطن الكبير فى المقعد الخلفى لسيارته الواسعة يدفع جسده نحو المرأة المنتفخة الصدر.

.. الحلم الأجمل تشعر سفينتى أنها تغرق فتتعلق بذراعى ، تلصقه بمنتصف صدرها بين حديقتى عنب دافئ .. التفت إليها .. تبتسم وتتسللنى بدفئها تلمح فى عينى ذاك الذى يأخذنى منها فتقبلنى فى خدى بأحلى ما عندها قائلة بمرح طفولى ..

ـ لنا رب .

ابتسم وأعيش معها إيمانها البرىء ..

ـ لو لم أكن أحبك ملء قلبى وعقلى .. لو أستطيع أن أبعد وجهك عن عينى لحظة أو تفارقينى أنت بأحد أحلامى لهربت منك وتركت لك سنواتك البرئية لتنمو بعيدا عن جدبى .

ـ غدا أعود بسريرى وقلبى الأبيض .

.. الحلم الأجمل وأنا لاندرى إلى أينْ وصلنا .. لم يكن حولنا سوى ضوء أبيض وهواء يمتلئ بضحكات أطفال صغار ـ أعتقد أن أقوى الضحكات كانت لـ « ليلى » ـ طفلتنا الثالثة ..

.. قلت لها وأنا أقص آثار الطريق ..

ـ علينا أن نختار حلما آخر .

ابتسمت ترسم العالم أطفالا وقلوبا نظيفة ..

ـ دعنى أحلم أنا .

مدت يدها تقيس المسافة بين كتفى وكتفها وفرشت وجهها فحصدت قبلة أعادتنى لسذاجتى الجميلة التى أسخر بها من آلامى .. أغلقت عينيها تطير بين الأشخاص والأشياء دون أن تصطدم بأحد .. من بعيد كان البحر يرقص كأمواج الحرير والفراشات تنطلق من أفواه الزهور .. عادت إلىّ مغلقة عينيها وأحاطت دنياى بذراعيها تقول ..

- نفس الحلم . ولو شككت فى حلمى سأعاقبك بساعة أخرى بعيدا عنى ..

قصص : محمد سليمان ... من مجموعته

(السيد القط .. وآخرون)

الصادرة عام ٢٠٠٤

والفائزة بالمركز الثالث

شى يابغلة .. شى يا بغلة يابنت الكلب.. شى يا الله ..

والبغلة ساكنه ، ليس ما يشير إلى بقائها على قيد الحياة سوى أنفاس متهدجة وعينين ذابلتين يتحرك جفناهما من لحظة لأخرى فى وهن شديد .. والساعة تقترب من الرابعة صباحا ، لن يمضى وقت طويل حتى تشرق الشمس.. فى ثورة عارمة عاد يصرخ :

– شى يابغلة .. باقول لك شى .. شى ياجبانة يابنت الجبان .. مش عاوزة تتحركى .. طب خذى ..

وينهال السوط اللاذع فيمزق بصفيره ولذعاته سكون الفجر ، وما من مجيب ،فقط انتفاضة طفيفة كان يرتعش بها جسدها إثر كل لذعة سوط ، كأنها تتحداه ! عشرات الأميال قطعتها دون كلل رغم حمولة العربة التى تربو على الثلاثة أطنان من البضاعة المهربة ، لبث يلهب ظهرها بسوطه طوال الطريق ، غير عابئ بما يحدثه اصطكاك العجلات ذات الأطر الحديدية بالأرض من ضجيج ، لابد من أن يصل بحمولته المهربة إلى المكان المطلوب قبل شروق الشمس ، وإلا قبض عليه وضاع كل شىء ، حتى هذه البغلة اللعينة سوف يأخذونها إلى جمعية الرفق بالحيوان ، فجسدها ممتلئ بالرضوض ، والأهم من كل هذا المكافأة التى وعده بها صاحب الشحنة إذا نجح فى توصيلها بسلام ..

ما العمل إذا إزاء هذه البغلة العنيدة ، إنه الحظ العاثر – بلاشك – أسقط إحدى عجلاتها فى حفرة لم يتبينها لسرعته وشدة الظلام ، والحفرة عميقة حتى لقد احتوت معظم إطار العجلة ، والملعونة من جانبها «حرنانة» لاتريد

أن تتحرك - أو حتى تحاول - رغم الضرب ..

دفعها فى حدة ، احتوته مشاعر الإذلال فجن جنونه ، لكنه تذكر أن الضرب لم يفض لنتيجة فليحاول بالذوق ، لعلها تلين :

- شى يابغلة .. يا بغلة امشى بالذوق أحسن لك .. شى يابغلة .. يا الله هوب!

ولافائدة ، ولا حركة غير الانتفاضة من لحظة لأخرى !

استرد أنفاسه اللاهثة ، وفى توجس راح يرقب الطريق ، بدت خالية من المارة إلا من بعض المصلين العائدين من صلاتهم .. الشمس إذا على وشك الشروق ، وقد يباغته شرطى الحراسة فى أية لحظة ، وتحل الكارثة ! والعمل؟! لا ضرب نافع ولا ذوق نافع ..

- شى يا بنت الشرموطة .. شى يا بنت العرص ! يعنى مافيش حاجة نافعة معاك ؟ بتتحدينى يعنى ؟!

مرة أخرى عاد يراقب الطريق ويتطلع إلى السماء ، لم تفعلها الملعونة من قبل ، ماذا أصابها .. ماذا دهاها ؟! وأحس بجسده يتصبب بالعرق فانتحى جانبا وأقعى جنب الرصيف يمسح الشارع بنظرات شاردة حائرة .. وقع الأقدام يتردد بجلاء ، رأسه يوشك على الانفجار من فرط الغيظ ، خيوط الضوء .. ها هى تتسلل عبر الطريق ، يتزايد وقع الأقدام ، لم لا يستعين بأحد المارة من الشبان ، ليساعده فى رفع العجلة المحشورة فى الحفرة ، ودفعها من الخلف ؟ برز فجأة عند رأس الشارع شبح أحد الرجال لكنه سرعان ما غاب فى منعطف جانبى ، آخرون يمضون على عجل دون مبالاة أو دون إدراك لكارثته ، ماذا لو ظهر بينهم شرطى ؟! فجأة انتفض قائما وقد احتقن وجهه بالغضب ، راح

يمسك بكل ما تقع عليه يداه من حجارة ويرمى بها البغلة كيفما اتفق ، حتى تناثرت بقع الدم فى جسدها ، لكن رد الفعل لم يتجاوز ضرب الأرض بحافرها تعبيرا عن ألمها ، ثم اهتزازات عصبية من ذيلها كأنما تؤكد رفضها . وبكل قواه واجهها وبصق فى وجهها بصقة هائلة ، حملها كل ما يحتدم بكيانه من غل وغيظ ، ثم مضى يركلها فى بطنها بعنف وجنون ، وهو يكيل لها كل أنواع السباب غير عابئ باعتراضات المارة ..

-شى يابغلة .. شى يابنت الجزمة .. اسفخصى !

وفجأة أحس دوارا هائلا يضربه ، فانحنى جانبا ، وتحدرت من عينيه الدموع فى صمت .. شخص ببصره فإذا الشمس قد أغرقت الشارع، وخفق قلبه فى ذعر عندما رأى شرطيا ينعكس وهج الشمس على أزرار سترته البيضاء .. بدا بعيدا ثم تحرك ، أقبل شاب قوى يساعده فى دفع العجلة من الخلف راحت البغلة تضرب بحوافرها الأرض فى توتر ، فجأة ارتفعت قدماها الأماميتان إلى أعلى واندفعت بالعربة فى سرعة مجنونة ، ما كادت العربة تغادر المكان حتى فوجئ المارة بجسد الحوذى فى قلب الحفرة وقد انشطر نصفين .. علوى وسفلى !!

الخصم

قطرات الماء تتساقط فى بطء مثير .. تندفع مباشرة إلى حلق الحوض محدثة دويا أجوف مزعجا ، وعندما مددت يدى أحكم إغلاق الصنبور .. لمحته !! اقتحم مجالى البصرى فاستنفر فى كيانى على الفور غريزة العراك . هو نفسه ذو الوجه المثلث واللون الأشقر المتميز . شهر ويزيد وأنا أحاول تصيده بشتى الوسائل دون جدوى . فى لمح البرق كان يتفادى ضرباتى الطائشة بمهارة تثير فى نفسى مزيجا من الدهشة والفزع !!

نسيت تماما ما كنت قادما لأجله واندفعت قدمى بحركة تلقائية لتجهز عليه . أيقنت هذه المرة من سرعة حركتى ودقتها أنها لاشك ستصيبه فى مقتل . أبعدت قدمى وقد غمرتنى مشاعر زهو مشوب بالتوجس . نظرت فإذا الأرض عند موقع قدمى خالية تماما ولا أثر له ! أحبط الملعون مشاعر النصر التى أفعمت قلبى لثوان .. أى شيطان ؟! كيف أفلت بهذه البراعة الفائقة رغم حركة قدمى المباغتة ؟! ونظرت فإذا به يحرك شاربيه عند زاوية الحائط البعيدة ! لقد خبرت تصرفاته الخبيثة من خلال محاولاتى العديدة ، ومع ذلك فإن الفشل كان حليفى ، لا لسرعته فحسب ، لكن لأنه فى كل مرة كان يلجأ لأسلوب جديد فى المناورة ويتجه عكس ما أتوقع فتبوء ضرباتى بالفشل ! خبثه لا حدود له . جسارته تصل أحيانا حد الوقاحة .. تحسب سكونه وداعة فتحس نحوه بالاطمئنان والأمان ، وفجأة يأتى بحركة سخيفة تمحو من قلبك كل إحساس بالأمان ! وحتى عندما أباغته بضربة طائشة فإن الاضطراب كثيرا ما يصيبه فيندفع نحو قدمى !! لا يؤمن جانبه بأية حال .. غشيت المكان ذات

مرة فلمحته واقفا قرب السقف .. رحت أغتسل فى أمان وما كدت أضع الصابون على وجهى حتى استشعرت أطرافه الخشنة عند ساقى فأخذت أضرب الأرض بقدمى فى عند ساقى فأخذت أضرب الأرض بقدمى فى ارتياع !! أفلحت مرة فى إصابته بضربة مباشرة توخيت فيها الدقة وهدوء الأعصاب ، وتنفست الصعداء عندما لقيته ساكنا كأنه مات ، وفجأة إذا به يندفع صوب البالوعة كالسهم المارق .

لهذا كله فقد وعيت شكله تماما خاصة سحنته القميئة المثلثة . تبينت طبيعته وميوله العدوانية .. مراوغ قذر يخشى المواجهة دائما ولايجد نفسه إلا فى الأماكن القذرة التى تلائم طبيعته المجبول عليها وأبدا لايكف عن إيذائى وإثارة أعصابى بتصرفاته الخبيثة غير المتوقعة وكأن ثأراً بينى وبينه !! مغرور بشقرته كأنه صرصار مستورد !! وعدت أفتش عنه فى توجس خشية مفاجآته السخيفة . لمحت شاربية الشبيهين بهوائى التليفزيون يتحركان وراء ماسورة المياة الممتدة خارج الحائط وكأنما يبحث عن مهرب أمين . مططت شفتى فقد بدت محاولة النيل منه فى هذا المكان عسيرة ، لابد إذن من التريث بعض الوقت حتى يغادر مكمنه حتى يغادر مكمنه . الصبر والسكون لازمان حتى تعاوده الطمأنينة ويتخلى عن طبيعته الجبانة . حذرتها مرارا من ترك البالوعة بلا غطاء .. لكنها دائما تنسى ، حتى المبيد فشل فى القضاء عليه رغم إعلانات التليفزيون التى تؤكد مفعوله !

طال انتظارى وما برح الخبيث لائذا بمكمنه كمن يستشعر وقع أنفاسى ، لا بأس إذا من اتخاذ وضع الاستعداد كسبا للوقت . من يدرى ربما يدفعه الإحساس بالحركة إلى مبارحة مكانه . صه .. لقد انطلت عليه الحيلة وبدا

على وشك التحرك . رحت أرصده بحذر وقد سرت فى كيانى هزة طفيفة ربما تحسبا لقرب اللحظة الفاصلة . صح ما توقعت وها هو يتسلل ببطء من وراء الماسورة ليغدو فوقها .. تعلو الماسورة مستوى الرأس مباشرة ، لابد إذا من الارتفاع بيدى الممسكة بالمدارس إلى أعلى ما يمكن حتى تهبط فوقه مباشرة .

لايجب أن يفلت هذه المرة بأية حال وإلا .. وإلا فلا أمل فى مواجهته أو التخلص منه بعد ذلك .

حسنا ..لأتريث قليلا حتى يغدو فى مواجهتى مباشرة .. هذا أفضل وأضمن وضع لإصابته بضربة مباشرة .. ساحقة تريحنى منه ومن وجهه المثلث القبيح.. يحسب شقرته ميزة يبز بها أقرانه ويتعالى عليهم !! حبست أنفاسى تماما عندما رصدته يتحرك ببطء .. دنا أجلك يا مغرور .. ها قد غدوت فى مواجهتى مباشرة ولأول مرة . رحت أدنو بيدى الممسكة بفردة المداس استعداداً للحظة الحاسمة . وفجأة أتانى صوتها من الداخل زاعقا :

– هل وجدت الـ ..

لم أسمع بقية الجملة فقد توترت أعصابى وقلت بحدة .انتظرى لحظه

وما كدت أتم عبارتى حتى لمحته يندفع بسرعة غريبة ليقطع حوالى ربع المتر فوق الماسورة ، خفق قلبى بشدة عندما رأيته يحرك شاربية حركات متوترة كأنما يستعد لقفزة أخرى ، وفى لمح البرق كانت يدى تهبط فوق لتستقر بالمدارس فوق سحنته مباشرة ! هو الآن مضغوط دون شك بين الماسورة والمدارس . من الأفضل أن أظل ضاغطا بيدى بعض الوقت حتى أكتم أنفاسه تماما . لايجب أن أدع ذرة أكسوچين تتسرب إلى جسده . فى المرة السابقة

حسبته قد مات وإذا بضآلة سمكه تساعده على النجاة ... مزيدٌ إذا من الضغط حتى يتفتت تماما . حمدا لله .. أخيرا تخلصت من هذا اللعين الذى أقض مضجعى ليالى طوالا . نتفست الصعداء وأنا أسحب يدى الممسكة بالمداس ، وعندئذ كاد الدوار يصيبنى من فرط الذهول .. لم أجد له أثرا !!

أمسكت برأسى وقلت محاولا إنقاذ نفسى من السقوط فى وهدة اليأس .. ربما يكون ملتصقا بظهر المداس ، لكن هيهات فقد كان المداس أنظف من الصينى بعد غسيله !! غمغمت بمرارة :

- الله يلعنك .. هى عادتك والا حاتشتريها !!

* * *

وفى الصباح ما كدت أجلس إلى مكتبى حتى رأيته قادما صوب الحجرة التى نشغلها معا . حياتى بدمائة زائفة ومضى إلى مكتبه فى صمت . تشاغلت بعض الوقت باحتساء فنجان القهوة . شرد ذهنى فيما حدث بالأمس. قال كمن تبين الغيظ البادى على وجهى :

- مالك ؟

حدقت فى وجهه قائلا :

- لاشىء .. مجرد إرهاق ..

وفجأة سرت فى بدنى قشعريرة غريبة عندما لاحظت - كأنما لأول مرة - وجهه المثلث وسحنته الشقراء الشبيهة بسحنة الخواجات ، وعندما عبر المكتب أمامى متجها صوب الباب تسللت يدى بلا وعى تتحسس فردة الحذاء !!

الكلب الأجرب

صرخت المرأة فى حنق :

– أنت ياعبد الغفار .. ياعبد الغفار .. ألن تجد حلا لهذا الكلب الجربان.. أكلما طردناه عاد من جديد .. كلب هذا أم (شيخ حارة) ؟! إنها كارثة والله وحلت بى . أما كفانا المرض الذى أصاب الأولاد ؟!

وكظم الرجل غيظه بصعوبة وهو يسمع صراخ زوجته من الحجرة المجاورة .. أستغفر الله فى سره وعاد يمسك بالقلم مرة أخرى ليكتب فجأة أتاه صراخها من جديد أكثر حدة من ذى قبل كأنما أثارها صمته .. وهنا ألقى بالقلم جانبا وصاح بها فى غضب :

– ماذا حدث يا امرأة ؟! ماذا حدث يا نفيسة يا بنت دسوقى . أهى القيامة قد قامت ؟ مالى أنا والكلب ؟!

– كيف .. ؟ ألست أنت الذى جئت به إلى البيت .. حقا الطيور على أشكالها ..

– .. كفى لسانك السليط وإلا .. كان سليما معافى عندما جئت به ..

فوجئت المرأة بلهجته الحادة الغاضبة والتى لم تعهدها منه من قبل ، أدركت على الفور أن ثمة أمرا مهما يشغله ويسبب له هذه العصبية ، ومن ثم فقد لاذت بالصمت إيثارا للسلامة . وبادر « عبد الغفار » بوضع عويناته الزجاجية السميكة فوق أنفه ومضى يقرأ ما كتب بصوت خفيض :

« السيد المحترم وكيل عام ديوان الوزارة .. تحية الاحترام والتعظيم وبعد ..

مقدمه لسيادتكم خادمكم المطيع عبد الغفار عبد ربه النعناعى .. أتشرف بأن ... »

وفجأة توقف عن السرد وأزاح عويناته عن عينيه ثم تناول ممحاة راح يمحو بها كلمة (المحترم) ليكتب بدلا منها كلمة « المبجل » !! لكن دلائل عدم الرضا ظلت ترتسم على وجهه فقال محدثا نفسه :

- ولم هذا التقتير ؟ إننا لن ندفع شيئا من جيوبنا .. لنكتب الكلمتين .. المحترم والمبجل أية خسارة فى هذا ؟!

عندئذ طافت بوجهه دلائل الرضا والارتياح فلم يلبث أن استأنف قراءته بنفس اللهجة الخفيضة :أتشرف بأن أرفع مذكرتى هذه لسيادتكم راجيا النظر إليها بعين الرأفة ، إننى قد عينت بديوان عام الوزارة منذ حوالى عشر سنوات بالدرجة التاسعة بالكادر الإدارى ، وحتى الآن لم أحصل على حقى فى الدرجة التى تليها برغم .. ومضى يتمتم بقية المكتوب فلم يجد ما يستوجب التعديل أو الإضافة حتى بلغ نهايته فاختتم قراءته قائلا بتؤدة كأنه فى حضرة من سوف يقدم له الالتماس .. وتفضلوا سيادتكم بقبول وافر الشكر وفائق الاحترام .

وما إن فرغ من سرد مذكرته حتى تناول ورقة بيضاء جديدة راح يسطر عليها التماسه بخط واضح متأنق بعد أن اطمأن لصيغته ..

وفى الصباح ما إن بلغ مقر عمله بالوزارة حتى بادر باحتساء قهوته ، ثم مضى من فوره فطرق باب حجرة رئيسه المباشر بعد أن رسم فوق شفتيه ابتسامة عريضة .. قدم له الالتماس فى صمت وخشوع ولبث جامدًا حتى فرغ هذا من قراءة مضمونه على عجل ، ثم دسه فى أحد الملفات أمامه بلهجه محايدة :

- حسنا ياعبد الغفار أفندى .. سوف أرفعها بدورى لسيادة وكيل

الوزارة، ونأمل خيرًا بإذن الله ..

وعلى الفور انسحب « عبد الغفار » لسان حاله يلهج بالشكر والثناء . وتوالت الأيام ثقيلة حتى عاد ذات يوم إلى بيته ومشاعر الغبطة ترفرف على قلبه، والأمل العظيم بأسماء الذين سقطت درجاتهم - ويطالبون بها - معروض أمام وكيل الوزارة ، وعلى وشك أن يتخذ بشأنه قرارا بين لحظة وأخرى .. أحلام كثيرة عانقت خياله طوال الطريق إلى بيته كلما تمثلت أمامه الدرجة الثامنة . لن تكون هناك مشاكل بعد ذلك .. أجل .. لن يتراكم عليه إيجار الشقة التى يقطنها ، ولن تطرد ابنته الصغرى من المدرسة لعدم سدادها باقى المصروفات ، ولن ولن ولن .. بل يمكنه عندئذ شراء حذاء جديد بدلا من ذلك الحذاء البالى الذى قام بترقيعه عدة مرات .. أيضا زوجته .. تلك الصابرة الصامدة لا ينبغى أن يغفل مطالبها ، يجب أن يشترى لها فستانا جديداً أو حتى نصف جديد لتحضر به خطوبة ابن أخيها فتظهر بين أقاربها بالمظهر اللائق .. كذلك يستطيع أن ..لكن لا .. هذا كثير .. ليس هذا بالأمر السهل ، فالتليفزيون يحتاج شراؤه لمبلغ ضخم قد لا يتوافر لديه إلا بعد فترة طويلة .. لابأس ليرجئ هذا إلى ما بعد إشباع مطالبه الأخرى ، وحتى لايربك ميزانيته .. آه .. آه .. لو يعود فى الصباح ليجد بانتظاره خبر نيله الدرجة الثامنة .. ولم لا ؟ .. ما الغريب فى هذا ؟ لقد سبقه إليها زميل وكان وقع المفاجأة عليه مثيرا للضحك فلم يتوقع حدوثها بهذه السرعة .. إذن فالمسألة مسألة وقت لاغير ..

وبلغ البيت فما كاد يطأ الشقة حتى فوجئ بزوجته تعاود صراخها ما إن رأته :

- ها هو الكلب قد عاد ثانية .. سربته بالأمس وفوجئنا به اليوم قابعا بجانب الباب .. أيعجبك هذا ؟ ما العمل إذا فى هذا الكلب ؟! أما كفانى قرف العيش .. ؟!

قال وهو يلقى بالجريدة جانبا والعرق يتصبب من جبينه :

- هدئى من روعك يا عزيزتى ولا داع للصراخ .. سوف آخذه بنفسى فى الصباح الباكر فى مكان بعيد لايمكنه العودة منه ولو علق رادارا فى أنفه الحمراء !؟

وألقى بجسده المنهك فوق كرسى واستطرد :

- كل المطلوب منك أن تربطيه بحبل من رقبته وتتركيه على السطح حتى الصباح .. والآن .. جهزى لنا الغداء فإن أمعائى تتقلص من فرط الجوع .. كما أن شهيتى مفتوحة عن آخرها !

* * *

فى صباح اليوم التالى نهض مبكرا فارتدى ثيابه على عجل وغادر مسكنه مصطحبا معه الكلب . راح يسلك به طرقا ملتوية ؛ حتى يتفادى نظرات المتطفلين ما أمكنه ، حتى بلغ المنطقة الصحراوية القريبة من مقر عمله بالوزارة ، وهناك تركه فى العراء يلقى مصيره المحتوم .

تنفس الصعداء وعاد يضرب فى الرمال حتى وصل إلى مقر عمله بالوزارة حيث كانت الساعة قد جاوزت الثامنة صباحا ، ذهب من فوره فطرق باب حجرة المدير معتذراً له عن تأخره ، لكن هذا لم يول اعتذاره أهمية واعتدل فى كرسيه قائلاً :

- لاعليك يا عبد الغفار أفندى أنت رجل مواظب على مواعيدك طوال

عـمـرك ، المهم أريد أن أقـول لك إن وكـيل الوزارة سـوف يمر على الإدارات والمكاتب فى جولة استطلاعيـة يتعرف بها على انتظام العمل والعاملين ، وطبعا لن أوصيك !! وبادر عبد الغفار قائلا بحماس :

- لاتقلق يا سيدى وكن مطمئنا .. سيكون كل شىء على ما يرام !!

وانسحب على الفور من الحجرة ، وقد استبدت به فرحة طاغية إذ لاشك فى أن التماسه موجود أمام وكيل الوزارة .. وأن هذه الجولة سيكون فيها تذكرة غير مباشرة به خاصة عندما يقدم له نفسه !!!

- أريد أن أبلغكم أن سعادة وكيل الوزارة سيمر فى جولة استطلاعية يتعرف فيها على انتظام العمل بالأقسام ، لذا أرجو أن يقوم كل منكم بترتيب مكتبه بقدر الإمكان ، ولا داع لهذه الملفات المكدسة أمامكم .. يمكنكم وضعها فى الدولاب بصفة مؤقتة حتى تنتهى الزيارة !!

وبدأت على الفور حركة ترتيب وتنسيق شملت المكاتب والدواليب وخلافه، ليبدو المكان خاليا من أكوام الورق والدوسيهات التى كان يحتشد بها باستثناء بعض الملفات التى اقتضتها ضرورة العمل والحفاظ على المظهر !! وتوالت الساعات بطيئة ثقيلة وعبد الغفار أفندى غارق فى أحلام الدرجة ، لاتكاد عيناه ترتدان عن الحجرة حتى تعاود التطلع إليه من جديد .. كانت أعصابه شديدة التوتر وهو يترقب تلك الزيادة التى - بلا شك - يتوقف عليها مصير الدرجة المفتقدة ، وأقبل عم « مرزوق » ساعى المكتب مهرولا ليهمس فى أذنه ببضع الكلمات أدرك منها الجميع أن الركب فى الطريق إليهم.

كان مكتب « عبد الغفا رأفندى » يقع فى مواجهة مدخل الحجرة مباشرة ،

لذا أمكنه أن يلمح الركب المصاحب لوكيل الوزارة وهو قادم عن بعد ، وإمعانا فى الحفاوة والاحترام استقر عزمه على أن يبادر بمغادرة مكتبه عندما يصبح ركب الوكيل على مقربة من حجرته ، أى عند رأس الدرج المجاوره له .

وتهادى الركب الذى شمل حشداً من المديرين والرؤساء يتقدمهم وكيل الوزارة حتى غدوا على مقربة من الدرج ، عندئذ هب «عبد الغفار» من مكتبه على عجل وقد انفرجت شفتاه عن ابتسامة عريضة ليلتقى بالموكب عند رأس الدرج، تماما كما حسب وقدر وسرعان ما تقوس ظهره فى انحناءة شديدة وهو يبسط يده ليصافح وكيل الوزارة فى حرارة من يعرفه خمسين عاما !!

كان قد استعد لهذه المناسبة الخطيرة ببضع كلمات رياء حفظها عن ظهر قلب لكنه ما كاد يفتح فمه ويهم بإلقاء خطبته العصماء حتى أصابه الوجوم.. رأى نظرات الحاضرين تتجه صوب الدرج وقد بدا الذهول فى عيونهم كأن خطبا جللا قد وقع .. ونظر بدوره ليفاجأ بمنظر جعل الدم يجمد فى عروقة .. كان الكلب الأجرب يقف عند الدرج ويتطلع إليه فاتحًا فمه عن أصوات غريبة تعبر عن سعادته البالغة بلقاء صاحبه .. عندئذ احتبست فى حلقه الكلمات !!

كلاشنكوف

انتبهت على زغدة لحوح فى جنبها ، همت بزجره فغلبها النعاس فأولته ظهرها ، واصل لكزها أكثر قوة فاعتدلت غاضبة ، صرخت فى وجهه فإذا الرعب يطل من عينيه وهو يشير بإصبعه الصغير نحو النافذه الزجاجية ، تراءت هالات سوداء فى الأفق وكان شعاع الشمس ينسل واهنا عبر الأرض ، تبينت أشباحا لخمسة أو ستة .. أشخاص تخوض الأرض تجاه الدار يتقدمهم كلب ضخم ، حط الذعر فى قلبها ، من هؤلاء وماذا يريدون فى هذه الساعة المبكرة؟!

أزاحت غطاءها على الفور وهرولت نحو النافذة ، ليس وهما ، بدوا أكثر وضوحا فى بنطلوناتهم « الچينز » وقمصانهم الزرقاء الكالحة وذقونهم الكثيفة ، عرفتهم على الفور ، هم بعينهم زوار الأمس سكان المستوطنة القريبة ، وتسارعت دقات قلبها عندما لمحت أحدهم يحمل مدفع كلاشنكوف أيقنت على الفور بقرب وقوع كارثة . سارعت بإيقاظ زوجها هاتفة به وهى تشير إلى النافذة : انظر .. !

- عادوا ثانية ؟!

وارتسم الخوف فى نظراته ، لكن وجهه احتقن فجأة بالدم ، وراح يتلفت حوله ، وجدها .. العصا الغليظة ، تناولها على عجل واندفع خارجا غير مبال بتحذيراتها ..

جئتم ثانية يا أوغاد ...!

جمدوا فى أماكنهم وهم يرونه يهرول نحوهم مشرعا عصاه ، غير عابئ بالكلب ولا الكلاشنكوف. نظرات الجدة والصغار كانت تشيعه فى رعب .

أقلهم خوفا كان الحفيد ابن الثانية عشرة .. وليد . انفلت مهرولا وراء الجد غير مبال بصرخات الجدة . في تحدٍّ سافر وقف الجد مفرجا قدميه شاهرا عصاه وإلى جانبه وليد : ماذا تريدون .. لن نتنازل عن شبر منها ..وضاقت المسافة بعد أن تقدم صاحب الكلب : أرضك امتداد للمستوطنة .. !

- اقتلونا لو أردتم ..

صاح القابض على كلب وابتسامة وقحة ترتسم على سحنته المغبرة :

- ابنك « زياد » في المعتقل ، وكذلك زوجته « ريم » .. أليس كذلك ؟!

وأضاف ضخم الجثة وهو يزداد اقترابا ملوحا بورقة في يده :

- ستوقع صك التنازل الآن ، وبلا مقابل حقيقي .. !!

- افعلوا ما تريدون .. لن أوقع الصك ..

استجمعت الجدة شجاعتها وهرولت تؤازره ، في أعقابها هرول الصغار ، وقفوا صفًا في مواجهتهم، بدأ الكلب يتحفز للهجوم شرع حامل الكلاشنكوف ماسورته في الهواء وأطلق بضعة أعيرة أثارت الرعب في قلوب الصغار ، فاندفعوا يحتمون بالجدة ، تراجعت وأحاطتهم بيديها وراحت تدفعهم نحو الدار ، وإذا بالكلب يفلت فجأة من يد صاحبه ويهجم في عنف على الجد ، فحاول أن يهوى على رأسه بعصاه فطاشت الضربة واختل توازنه وسقط على الأرض جثم الكلب فوقة بجسده الثقيل ناشبا فيه أنيابه ومخالبه . انشق صدر الجدة عن صرخة مدوية، اندفعت بلا وعى محاولة إنقاذه ، لكن الصغار تجاذبوا ثوبها في هلع ، فاستدارت وأحاطتهم بذراعيها وعادت تدفعهم نحو الدار ، لكن « وليد » هتف فجأة في لهجة ثائرة : بم يفيد دخولنا الدار يا جدة سيقتلون جدى ، ومن سيدافع عن الأرض لو حبستينا هناك ؟!

كانت صيحة بمثابة الشرر الذى أشعل النار فى صدور الجميع ، انقلبوا فجأة مقاتلين شرسين فأمسكوا بكل ما تقع عليه أيديهم من حجارة وتراب ، وراحوا يقذفون به الكلب لإبعاده عن جدهم ، لكن بلا فائدة ، وإذا « وليد » يستدير مهرولا نحو الدار ، غاب لثوان ظهر بعدها ممسكا فى يده بندقية قديمة ، اندفع بلا تردد مصوبا فوهتها نحو الكلب ، ضغط الزناد فاستقرت الرصاصة فى بطنه ، فتراجع يعوى نحو صاحبه ، كاشفا عن جسد الجد المضرج بدمه ، ودوت فجأة طلقة من الكلاشنكوف استقرت فى كتف وليد وسقط يتلوى . .

ثانيــاً

الفائزون فى مسابقة

القصة القصيرة

القصة الفائزة بالمركز الأول

(الغـــريـــق)

السيـد ماضـى حسـين
القليوبيـة

انبلج ضوء باهر وترنح فضاء لانهائى مغلف بالبياض ؛ ومن خلال عينين نصف مغمضتين ؛ لمحت وجوها متجهمة ؛ وعيونا تحدق فى جسدى الملقى على أحد الأسرة المتراصة ، وحدثت نفسى : « ها قد عدت إلى الحياة من الهوة السحيقة من الأعماق» و .. وفى حركة ارتداد عنيفة ؛ تلاشت الوجود المتجهة ؛ والعيون المحدقة ؛ وتلاشى البياض ...

كانت الحافلة تسير بطيئة مترنحة ؛ تتمايل بعنف ؛ فترتطم الأجساد المكدسة ؛ وكنت غير مهتمّ بما يجرى حولى ؛ تركاً جسدى يتأرجح مع الكتلة البشرية يمينا وشمالا؛ .. وَضَرَبَتْ أذنى حشرجات متقطِّعة ؛ شدتنى من لامبالاتى : « يا اسطى ؛ الرحمة ؛ أرجوك ؛ العربة لا تحتمل المزيد » ؛ دفعنى الفضول إلى البحث عمن أطلق هذه الحشرجات ؛ كان رجلا محتقن الوجه؛ جاحظ العينين ؛ محدوب الظهر ؛ فى الخمسينيات تقريبا ؛ لم يسمع السائق حشرجاته الخائفة ؛ فقد كان فى قمة الانبساط ؛ يردد أغنيته المفضلة مع صوت المغنى المنطلق من جهاز التسجيل أمامه : السَّحْ الدَّحْ امبوه، إدِّى الواد لأبوه "؛ .. انتهت على صوت المحصِّل ؛ الذى كان واقفا بجوار السائق يشاركه الانبساط : " يا مواطن ؛ نصيحة ؛ انزل وخد تاكسى "؛ .. عدت أنظر بلامبالاة إلى كتلة الأجساد الخائفة ؛ .. تَرَنَّحَتْ أفكارى ؛ تدحرج جسدى على منحدر أملس ؛ واستقر فى هُوَّة سحيقة مليئة برجال ؛ بطونهم كبيرة ؛ وأفواههم عظيمة الأشداق ؛ كانوا يمطروننى بكلمات تلسع وجهى كالسياط: « لاتوجد وظيفة خالية؛ لايوجد عمل » ...

كانت رؤوس المارة تتتابع على الرصيف ؛ وتتوارى بسرعة غريبة ؛ أحسست برجفة خفيفة ؛ وبسرور أذهلنى عما حولى ؛ .. انتبهت على صوت

نقر المحصل على صندوقه الخشبى ؛ وعلى أنفاسه التى كانت تلفح وجهى ؛ وشد انتباهى نحوله الشديد ؛ .. دسست يدى فى جيبى ؛ فاصطدمت بعدة قطع معدنية ؛ أخرجتها عددتها بسرعة ؛ كانت خمسة وسبعين قرشا ؛ .. ازداد النقر إلحاحا؛ فوضعت فى يده ثلاثة قطع ؛ نقلها الكمسارى إلى جيبه ؛ وقذفنى بالتذكرة ؛ وعاد إلى النقر على صندوقه الخشبى وهو يصرخ : «ورق ؛ ورق» ؛ وقفز كالبهلوان » معتليا ظهور المقاعد ؛ فبدا وكأنه يمشى فوق الأكتاف ؛ وتابع صياحه : « ورق ؛ ورق » ؛ .. وعدت أسترجع : "فى مثل هذا اليوم من الأسبوع الماضى ؛ قال لى الرجل الكبير الجالس خلف مكتب لامع :

« فوت علينا زى النهارده » ؛ عدت يومها إلى القرية والفرحة تغمرنى ؛ وَبشَّرتُهم بالفرح القريب ؛ وهأنذا ؛ ملتزما بالموعد الذى حدَّده لى ذلك الرجل الطيب ؛ أعود مبكرا ؛ .. توجهت إلى الموظف الجالس على باب الرجل الكبير؛ الذى كان منهمكا فى التهام سندوتشات الطعمية ؛ قدمت نفسى وعلى وجهى ابتسامة خجلى ؛ لم يتجاوب مع ابتسامتى ؛ ونظر إلىَّ متجهما ؛وقال بقرف : أين الأوراق ؟"؛ فى لمح البصر وضعتها أمامه ؛ محدَّثا نفسى :" يا أيها المتعجرف ؛ عمَّا قليل سأكون موظفا مثلك « فاجئنى صراخة عاليا مجلجلا؛ كان يمطرنى بكلمات متتابعة سريعة كالقذائف : " أين البطاقة الشخصية»؛ أخرجتها من جيبى ؛ ووضعتها أمامة وأنا أقول متلعثما:«البطا.. طا.. قة ؛ حض .. حضرتك "؛ وضعها فوق الأوراق ؛ وواصل أوامره المتعجرفة : "روح صَوَّرْها كلها ؛ وإياك أن تنسى ؛ سبعة صور من كل ورقة "؛ كان الزبد قد تطاير من فمه مختلطا بفُتات الطعام ؛الذى

التصق بعضه بوجهى وسقط البعض الآخر على الأوراق ؛ .. أصاب تفكيرى الشلل؛ .. وبعد أن استعدت توازنى ؛ تَمْتَمْتُ بصوت لم يغادر شفتى :« لم يخطر ببالى أننى سأتعرض لمثل هذه المشكلة ؛ كانت النقود محسوبة بالضبط كى تغطىّ رحلتى الذهاب والعودة ؛ ما العمل هل أعود ؛ أو أستخرج الأوراق المطلوبة » ؟ لم أفكر كثيرا؛ وخرجت مسرعا لاستيفاء المطلوب..

عدت إلى الموظف بعد أن نَفَّذْتُ أوامره بالحرف؛ وضعت الأوراق على المكتب وأنا آلهث متمتما :« الأو.. راق ؛ حض .. رتك .. »؛ لم ينظر إلى الأوراق ؛ وقال متجهما: « انتظر هنا » ؛ وقام متثاقلا؛ وتوجَّه إلى مكتب الرجل الكبير؛ لم أمثل لأمره ؛ بل التقطت أوراقى وتتبعته ؛ وأمام الباب الموصد توقفت ؛ .. بعد وقوفى أمام الباب فترة مرَّت علىَّ كالساعات الطوال؛ خرج الموظف ؛ ولمَّا وجدنى أمامه ؛ قال باشمئزاز:« اتفضل ادخل للبك » ؛ دلفت إلى الداخل مسرعا؛ وقبل أن تقع عيناى على الرجل الكبير؛ فوجئت بجو الحجرة المكيَّف ؛ الذى نقلتنى برودته المحببة إلى حالة من الاسترخاء شعرت على إثرها بشرود مفاجئ .. انتفضت بشدة عندما فوجئت بصوت الرجل الكبير مرتفعا مجلجلا؛ وكان منكبًا على أوراقة يقلِّب فيها:"طلباتك"؛ أجبته متلعثما: "الأوراق .. حضرتك..وعدتنى الأسبوع الماضى"؛ مر بعض الوقت ؛وكان لايزال منكبّا على أوراقه ؛ كررت وقد ازداد تلعثمى : "الأو..أو..راق؛ حض..حض..رتك.."؛ .. بعد فترة من الصمت؛ قال بصوته الهادر دون أن يرفع وجهه: آسف يابنى؛ لايوجد عندنا شغل"؛ أصابنى دوار مباغت؛ زاغت نظراتى ؛ واكتسى الفراغ أمامى بلون رمادى ، وخرجت مسرعا قبل أن أسقط على الأرض ...

كنت أنظر إلى رؤوس المارة ؛ وإلى أشجار تخبئ ظلمة حالكة ؛ تتتابع على الرصيف ؛ وكانت أفكارى قد انصرفت إلى هناك ؛ تذكرت أبى وأمى ؛ وإخوتى .. شدنى صراخ الكمسارى المفاجئ إلى انتباه لاهث: "أول شارع ستة وعشرين يوليو"؛ .. ترنحت الحافلة بشدة ؛ فاهتزت كتلة الأجساد الرخوة المكدَّسة ؛ وبرز الوجه الخائف من جديد ؛ وصاح: "حاسب يا أسطى"؛ .. عادت أفكارى لتشرد من جديد ؛ تساءل الفتى الحزين فى أعماقى :« هل ستعود؛ وإذا عدت فماذا ستقول لهما؛ وهل معك نقود للعودة » ؛ .. كانت الكتلة الهلامية قد تحجَّرت ؛ وتحولت الحافلة إلى قبر ملىء بأجساد محنَّطة؛ يرعى فيها الدود؛ احتوانى رعب قاتل؛ واكتسى وجهى بقطرات باردة تكاثرت وتجمعت ثم انحدرت إلى أسفل لتغمر جسدى ؛ وأصابتنى قشعريرة شديدة؛ وشعرت برغبة أكيدة فى الانحدار إلى الهاوية ؛وصحت بكل ما تبقى فى جسدى المنهك من قوة: أسرع يا أسطى"؛ ردَ الكمسارى بسرعة:"تَذكَرْتُكْ انتهت يا أستاذ"؛ بانصياع تام؛ اتجهت إلى باب الحافلة ؛ وعند أول موقف ؛ انسكب جزء من الكتلة البشرية على الرصيف وجرفنى معه ...

ابتلعنى زحام هلامى يسيل على الرصيف إلى مالا نهاية ؛ وسِرْتُ مع الجماهير الزاحفة؛ ناظرا إلى الشمس المنحدرة؛ التى أوشكت على المغيب؛ انقبض قلبى ؛ تخاذلت ؛ وتوقفت محدثا نفسى : "إلى أين؟! الطريق على يسارك ؛ عندما تصل سوف لايكون هناك صَرِّيخْ ابن يومين ؛ ستبتلع تلك الأبراج هذه الجموع الزاحفة"؛ .. هَبَّتْ ريح باردة ؛ وإن ظلّت عيونها مفتوحة؛ وحدثت نفسى :"هل ستعود؛ ليراق ماء وجه أبيك ثانية على أعتاب بيوت الجيران"؛ تمنيت أن أعود لأستجدى ذلك الرجل ذا الكرش الكبير الجالس خلف

مكتبه اللامع ؛ ..فجأة تَلَقَّتْ خاصرتى لكزة قوية ؛ وسمعت ضجيجا مُوجعا: حضرتك ماشى على رأسك ؛ كان أمامى رجلا مفتول العضلات؛ مرعب القسمات؛ أجبته متلعثما: « مع .. معذرة.. يا أس..تاذ » ؛ .. توقفت أمام واجهة زجاجية ضخمة ؛ تتناثر خلفها أشياء بديعة ؛ وكانت المدينه قد أحيطت بظلال رمادية؛ .. أنكَمَشْتُ حزينا فى تيه لا نهائى لا أعرف أين الاتجاه؛ لا أعرف ماذا أفعل ؛ .. كانت الأضواء الصادرة من بعض النوافذ البعيدة ومن أضواء النيون قد بَدَّدَت تلك الظلال الرمادية ؛ .. ابتلعنى بياض فضى ؛ كنت أرى من خلاله أشياء كثيرة؛ وأشياء دمى متراصة خلف الزجاج الشفاف وبجوار دمية ذات عينين خضراوين ؛ رأيت قطعة لامعة من قماش بديع؛ تنعكس عليها أضواء شديدة ؛ فوقها بطاقة أنيقة منقوش عليها أرقام وحروف لامعة: « ٥٠ جنيها »؛ غرست نظراتى فى وجه الدمية ؛ وصاح الفتى الحزين فى أعماقى :«النساء فى قريتى لايضعن تلك القطعة ؛ صدورهنَّ متهدلة خلف ستائر سود »؛أحسست أن يداً قوية تعتصر قلبى ؛ وقلت منكسرا: « هل أعود لأستجدى من جديد ؛ ولكن لا أحد هناك فالكل قد عاد؛ لقد انتهت النقود؛ أين أقضى هذه الليلة » ؟ .. كانت بجوارى فتاة عيناها سوداوان واسعتان كعينى غزالة ؛ كانت تلتهم بنظراتها تلك القطعة ذات الخمسين جنيها؛ بينما تضغط بيدها الأخرى كيس النقود ؛ قال الفتى الحزين فى أعماقى :« ماذا لو اختطفت الكيس »؛ شعرت أن قلبى يتفتت ؛ وانتابنى إحساس قاتل بالوحدة بين هذه الوجوه الصارمة التى لا تتجاوب مع أحد ؛ إلى أين تتجه ؟ ومن أين تأتى ؟ أى منبع يقذف بهذه الجموع أى مدينة هذه بأبراجها الشامخة التى لا أعرف فيها أحدا ؟ تلك الأبراج المليئة بالخيرات

وبالنعيم المقيم ؛ .. أحسست بالجوع: «أريد أن آكل ؛ أى شىء ؛ ولو كسره خبز جافة » ؛ .. تأرجحت أضواء النيون ؛ ثم ذابت فى بحر أبيض مشبع بالصفرة ؛ وتحول الشارع إلى مجرد فراغ ملىء بالجليد ؛ وكان قلبى قد تهشم؛ وحدثت نفسى :« الطريق على يسارك ؛ اتجه إلى الميدان الواسع ؛ عدة خطوات وتصل إلى الكوبرى ؛ ولكنى جائع ؛ يا للعذاب ؛ ولكن خمسين قرشا لا تكفى لشراء أى شىء فى هذا المكان المترف » ...

عبرت الشارع دون أن أبالى بزمجرة السيارات المسرعة؛ كانت المدينة تنحدر نحو الميدان الكبير ؛ فانْحَدَرْتُ معها بدون أى تفكير؛ كانت الأضواء قد ازدادت بريقا؛ .. ابتلعنى الزحام؛ ونظرت إلى أعلى ؛ إلى أبراج وعمارات شاهقة ذات أضواء متلألئة وأضواء مترنحة؛ لا أعرف فيها أحدا ؛ وحدثت نفسى : " ألا أجد نقودا لأدفعها ثمنا لقضاء هذه الليلة؛ ولكنك جائع ؛ ابحث عن أى شئ لِتُسْكِت به هذا الجوع المهلك؛ وبعدها فكر فى النوم"؛ .. وفجأة حجب عنى الرؤية جسد ضخم ؛ كان رجلا جلبابه قذر يرتدى فوقه «مريلة» أقذر؛ يحمل على رأسه وعاء متسعا به طعام يبيعه لأمثالى ؛ سال لعابى حتى كاد يملأ فمى ؛ وبسرعة وضعت فى يده القطع المعدنية المتبقية؛ ،ولكنه أخذ يُقَلِّبهاعدة مرات ؛ ثم مطَّ شفتيه ؛ كنت أتتبعه وقلبى يرتجف ؛ وقد امتلأت عينى بالدموع ؛ .. بعد هذا الحوار الصامت ؛ رفع الرجل يده إلى الوعاء والتقط لفافة وضعها فى يدى ؛ ثم توارى فى الزحام ؛ التهمت الطعام بشراسة ؛ وبدا لى أن بطنى قد تهدتك ؛ وشعرت بارتخاء ؛ وبرغبة فى الجلوس؛ ولكنى لم أتوقف؛ بشراسة ؛ وتَعَقَّبْتُ أفكارى التى سبقتنى إلى الميدان الكبير؛ .. عانيت من ذهول غامض خفت أن يبعدنى عن الميدان ؛

ولكنى حدثت نفسى : « ستذهب إلى الميدان ؛ ومنه إلى الكوبرى ؛ ثم ينتهى كل شىء »...

كنت أتدحرج صوب الميدان الكبير بدون أى مجهود يذكر؛ تساءلت وأنا أنظر إلى الكتلة الهلامية الزاحفة : "هل سأذوب فى هذه الجموع؟"؛ .. وفجأة؛ ارتجَّت الكتلة الهلامية بشدة ؛ فانتشرت كتلة صغيرة ناعمة ؛ كانت فتاة شقراء تسير بدلال؛ وسطها يترنَّح بدلال هانج؛ ثوبها يبرق بريقا صارخا تحت الأضواء المبهرة ؛ البريق تزداد حدَّته فوق الردفين الهادرين ؛ رقبتها تبزغ كاللبن الحليب ؛ وتختفى خلف شعرها الذهبى ؛ عندما يهف الهواء الفاتر (إيشارب)حريرى لامع ؛ .. تتبعت الثوب القصير بنظرات فضولية؛ فوجدته قد انتهى بسرعة ليظهر ساقين كالمرمر؛ واسترعى انتباهى شق أنيق أسفل الثوب تبرز منه أطراف غلالة رقيقة أثارت فى رأسى الفارغة معانى حقيرة؛ كان جسد الفتاة ينشر عطرا مجنونا ؛ نكأ فى قلبى جرحا أخذ ينزف دون توقف؛ .. توقفت الفتاة أمام واجهة متلألئة ؛ وكان قلبى لا يزال يُدمى ؛ ودارت بى الدنيا؛ .. جالت بخاطرى ذكريات ظننت أن ما أعانيه قد مسحها من مخيلتى ، تذكرت "ليلى "؛كنت قد قلت لأمى ذات يوم : "هل تعرفين ذلك البيت الأبيض المتوارى خلف الأشجار؛ هناك بجوار محطة القطار « ؛فردت مندهشة :« أعرفه » ؛ قلت والفرحة تغمرنى :« ألا تذهبين إليه »؛ امتقع وجهها ؛ وقالت مستنكره: "لماذا؟"؛ أجبتها بسرعة خاطفة: "لاجل تخطبوا لى بنت فى هذا البيت"؛ وبدلا من رد فعلها الذى كنت أتوقعه ؛ كان مجرد الصمت مع دموعها التى انسابت بغزارة؛ وكانت تتحسس ثيابها؛ .. انجرفت المدينة فى هوَّة سحيقة ؛ شديدة الظلمة ؛ شديدة البرودة ؛ وكان جسدى

قد تصلب ؛ .. انتبهت على صوت حاد : «حسنة يابيه، الله يخلى لك حبيبتك»؛ نظرت حوالى بفضول؛ إنها الفتاة الرشيقة ذات البريق الصارخ والعطر المجنون ؛ كانت تنظر إلىَّ من فوق كتفها باشمئزاز؛ نظرت بدون وعى إلى ثيابى ؛ قميصى المتواضع ؛ وبنطلونى اللامع من القدَم وكثرة الكى ؛ وحذائى المتهالك ، وكانت الفتاة قد عبرت الشارع ، واختفت وسط الجماهير؛.. كانت أفكارى قد شردت ؛ فسرت صوب الميدان بدون أى تفكير...

جذب انتباهى فضاء غير عادى ؛ كانت الأضواء تنسكب على الأرض من كل ناحية : "ها هو الميدان الكبير ؛ ميدان التحرير : خطوات معدودة ؛ وتصل إلى الكوبرى "؛ كان اتساع الميدان الذى يغص بالناس يظهر رقعة كبيرة من السماء :" الزحام فى كل مكان ؛ أى مدينة هذه ؛ نفس الناس ؛ نفس الوجوه المتحجرة ؛ نفس العيون ذات النظرات الصارمة التى لا تتجاوب مع أحد ؛ نفس الأجساد ؛ أجساد مرهقة ؛ وأجساد رشيقة ؛ .. لابد من أن أنتظر بعض الوقت ؛ حتى تنصرف هذه الجماهير"؛ .. كان التعب قد هدَّنى ؛

وخارت قواى ؛ وثقلت رأسى ؛ تمنيت أن أجلس ؛ لم تعد ساقاى٤٢ المكدودتان تقويان على حمل جسدى ؛ جلست على الرصيف ساندا ظهرى على عامود الإنارة؛ مرت عدة دقائق ؛ وكانت مناشير العالم لا تزال تنشر عظامى؛ رأيت شاربا طويلا؛ وهراوه تتدلى من خصر ضخم ؛ وحذاءين كبيرين يتنقلان تجاهى بإصرار ؛ انتقضت واقفا لأغادر المكان ؛ فى هذه اللحظة ارتطمت يدى بجيب البنطلون ؛ سمعت صلصلة مكتومة ؛ حدثت نفسى : «إنها القروش المتبقية ؛ سأعطيهما لأى محتاج ؛ فلا حاجة لى بها ؛ ألايوجد سائل هنا؟..

فلأدخل هذا المقهى ؛ لأريح جسدى المتهالك ؛فإن القروش المتبقية تكفى ثمنا للمشروب على أية حال» ؛ .. كان المقهى يعج بالبشر؛يلفه الدخان؛ ارتميت على أحد المقاعد فى ركن منزو؛ متكئا على المنضدة ؛ وضعت رأسى بين كفيَّ؛ .. ولمارفعت وجهى ؛ رأيت فى المرآة المعلقة أمامى شبحا بارز عظام الوجه ؛ رث الملابس ؛ وَرَنَّتْ فى أذنى كلمات تافهة : "تعال الأسبوع القادم .. تعال بكرة .. تعال.."؛ زاغت نظراتى ؛ وامتزجت المرئيات أمامى ؛ ومن خلال الدخان الكثيف ؛ تراءت لى أشباح مخيفة ؛ تمد أيديها نحوى ؛ ونظرت إلى أسفل ؛ تحت الأقدام ؛ فرأيت بئرا يملأها الدود ؛ وكانت الأشباح تدفعنى لأقع فى الأعماق المظلمة ؛ ليأكلنى الدود:"لا أريد أن أكون طعاما للدود؛ سوف يأكلنى السمك "؛ .. انتبهت على صوت حاد : "طلبات البيه"؛ كان" الجرسون" منحنيا حتى كاد فمه يلامس وجهى ؛ أجبته بسرعة قبل أن أفقد الوعى من تأثير الرائحة الفظيعة التى انسكبت من فمه : « شاى لو سمحت»؛.. انصرف « الجرسون » ؛ ورحت أتفرس فى الوُجوه من خلال الدخان ؛هالنى أن كل العيون كانت حمراء قانية ؛ وكانت تنظر إلى أشياء لا أعرفها؛ التَفَت إلى المنضدة المجاورة ؛ فرأيت كوبا مليئا بالدم ؛ وكان لون الدخان قد تحول إلى الأحمر القانى ؛ شعرت بقشعريرة ؛ انكمشت متداخلا؛.. شد انتباهى صياح « الجرسون » أمام أحدهم : « طلبات السيادة »؛ وبحركة لا إرادية ؛ وضعت يدى فى جيبى فوجدته خاويا ؛ إلا من علاقة المفاتيح ؛ حدثت نفسى حانقا: « هل نسيت ؛ لقد أعطيت ما كان معك لبائع الطعام ؛ وقد أكملت ثمن رغيفه بدموعك ؛ من حسن حظك أن « الجرسون » لم يأت بالشاى بعد ؛ فلتخرج بهدوء ؛ قبل الوقوع فى الورطة "؛ فى التو واللحظة ؛

انتفضت واقفا لأخرج من المقهى ؛ وددت لو كان ذلك جريا؛ ولكننى فضلت الخروج متمهلا؛ فقد كانوا يتتبعوننى بنظراتهم ؛ وعند اقترابى من باب الخروج ؛ سمعت صوتا خافتا كأنه الوهم : « شكله مباحث » ...

سرت ورأسى شبه خالية ؛ بجوار أشجار منتصبة فى سكون ؛ كان المشاة أعدادا قليلة ؛ متناثرين على الأرصفة ؛ أما السيارات فكانت كثيرة ؛ كلها مسرعة كالسهام المنطلقة :" السيارات لاتهمنى"؛ .. واصلت المسير؛ .. تَرَدَّدَتْ داخلى أصوات حزينة ؛ وشعرت بفتور شديد وأحسست بدوار بطىء ؛ والتصقت قدماىَّ بالأرض ؛ حدثت نفسى بانكسار: "وهل هناك حل آخر :؛.. جاهدت فى مواصلة السير ؛ فقلت بعزم: " لقد قررت أن أصل "؛ كنت أجد مشقة فى المشى؛ ولكن انحدار المدينة كان يساعدنى ؛ .. أخيرا أشرقت على الكوبرى ؛ وهاهما الأسدان الرابضان فى سكون ؛ وكأنهما ينظران إلى .. بأعين مسحتها يد مجهولة؛ وعندما كنت فى محاذاتهما؛ رأيت دموعا سوداء تترقرق فى مآقيهما؛ .. كان الكوبرى واسعا ؛ طويلا؛ ليست له نهاية ؛ وخاليا من المشاة: " يافرحتى "؛ حاولت أن أرى ما بعد الكوبرى ؛ دون جدوى؛ وأغمضت عينىَّ ؛ رأيت من خلف جفونى المطبقة ؛ أشجارا مورقة ؛ بينها منزل صغير ؛ تقف " ليلى" فى شرفته؛ .. تحسست جسدى ؛ شعرت أنه يتلاشى؛ وأن الهواء سيقذف بى بعيدا؛ فأمسكت بالسياج؛ وحاولت أن أواصل السير معتمدا عليه؛ ناظرا إلى هوَّة سحيقة مظلمة؛ هيئ لى أنها بأشباح مرعبة؛ وأن سلاسل حديدية تشدنى لأسقط فيها؛ .. عاودت النظر إلى المدينة؛ وإلى الشوارع الممتدَّة؛ فترا ءى لى الميدان الكبير على البعد بأضوائه المتلألأة؛ .. انشق الفضاء أمامى عن بياض فضِّى؛ ازداد تألقا؛ وبدا

لى أن جماهير غفيرة تزحف نحوى بإصرار ؛ وكان الكوبرى قد ازداد اتساعا؛.. وتَرَنَّحَت المدينة بشدة ؛ ومالت نحو الهوَّة السحيقة؛ وقبل أن تدركنى الجماهير الزاحفة ؛ سَقَطَتِ المدينة؛ وسَقَطْتُ معها ...

جذبنى بقسوة إلى انتباه لاهث أصوات متداخلة ؛ فتحت عينىَّ مندهشا؛ كانت عيون كثيرة تُحدِّق فى جسدى الملقى على السرير؛قلت محدثا نفسى "لاتهمنى نظراتهم"؛ وأرهفت السمع؛فَتَبَيَّنْتُ عدة كلمات تقاطرت على أذنىَّ بإلحاح : "الحمد لله .. كُتِبَ له عمر جديد .. أنقذوه من الغرق فى اللحظات الفارقة بين الموت والحياة".

القصة الفائزة بالمركز الثانى

(لـم أكن هنـاك)

علـى محمـد عبيـد
الغربيــة

تجرحنى طقطقة أريكة الصالة الداخلية .. تلك التى سقط قلبها .. فأسقط.. فى ثقب الذاكرة .. بعيدا .. بعيدا جدا .. إلى حيث لعبة العرائس الخشبية ، وبناء البنيةّ .. للحمام على سطوحنا القديم .. وكيف صنع لى النجار عروسا .. لا يحملها أحد غيرى .. بين يدى إن صاعدا أو هابطا خلف أبى ..

أكلمها .. تكلمنى .. أرقص بها ولها .. كما ترقص حمامة أخى الهزاز على طاولة سفرته المستطيلة .. حين ينقر لها .. وتهتز .. رافعة ذيلها فى أَنَفَةٌ .. تشق الهواء .. ينقر لها .. تهدل وتدور .. ينقر لها تهز رأسها .. تلتقط الأرز بمنقارها .. ذلك الوردى الصغير .. ثم ترفرف بجناحيها الأبيضين، تشق بهما الهواء .. تندفع إلى أرضية الصالة .. فتندفع البرودة إلى وجهى .. تلسعنى .. تشقنى كما تشق لفائف الكتان عنى ، وعن عروسى.. كمومياوين طال عليهما الأمد .. هانحن قد بعثنا من جديد .. بعد أن نودى باسمينا .. أضاءنا مصباح الأمل .. ذلك الذى كان منطفئاً فى بنِّيةً عائلتى حيث كنت أجرى .. أتعفرت .. أربت على كتف أمى بكفى الصغير.. أتعلق بجلبابى الجديد متأرجحا . ذيله تحت يدى .. بينى وبين مُلةّ السرير الحديد أتعلق .. كطفل يتيم .. لم يجد أجر أرجوحة خشبية فى حارتنا أو ذاق طعم الساقية الدوارة ، أو حتى زقازيق المولد الكبير ..

أحمل فى فمى بقايا مذاق خاص .. له طعم سناج سنبلة القراءة الليلية متقلبا فوق حاشية الشرك .. منطرحا ومفروداً على حصير السهر ، متعاملا.. مع بعض حبر الأقلام والمطابع .. على صفير صرصور زراعات مجاورة ، وأنت معى .. تحاصريننى من الجهات الأربع .. تنفذين إلى من تحت عقب الباب

المفارق .. تدخلين من خلال مزق الشراعات .. قبل أن تكون الزجاجية .. فى ليالى (طوبة) : (عقارب السم ، وليس الدسم) .. الهواء من حولنا كالصواريخ .. يشاغل الموقد المشتعل فى داخلى .. ليحكم الحصار من الداخل والخارج .. لا أجد جوابا على سؤالى الملح (لماذا؟) .. لماذا يسقط كل من أحببت من القطار ؟

بهذا صرت وحيدا .. يلتفت إلىَّ الجميع .. كما لو أننى أحمل فوق أكتافى لعنة أيام من نوع خاص .. نوع توارثته عائلتى .. فرع عن أصل .. حتى بدت شجرتنا الممتدة بطول النهر ، والمنتصبة من القاع إلى القمة .. (من ذرية آدم ، وممن حملنا مع نوح) كأنها آتية من سموات لا ندركها بالبصر .. وتوغل فى سماوات لن تصل إليها عين . تلك هى اللحظة التى تم تصويرها مؤخرا .. فى معامل سمعنا عنها وبها ، لكننا لم نشهد مولدها .. ولن يسمحوا لنا بذلك .. رغم أنها من إبداعاتنا .. أو هكذا يخيل لى ..

كان يحلو لى ولك أن يأخذ كل منا بيد الآخر .. عبر فتحة السقيفة المفتوحة .. فوق سلم جدتنا النقالى .. نفز الهواء .. ننفرد بنفسينا .. ماشاء لنا اللعب ..

نركب حصانينا .. أعواد الذرة الجافة .. أصهل لك ، وأقفز دائرا من حولك .. ألتقط حبات العنب من راحتيك .. تحمحمين لى وتقفزين دائرة من حولى .. تلقطين حبات العنب من راحتى ..

نجلس .. نصنع من أعواد الذرة الجافة .. أدوات فلاحة صغيرة .. لحقلنا الصغير . ذلك الذى حددناه فى تراب السطح .. فى حيز يتسع لكلينا .. نحرثه .. نزحفه .. نخططه ، أو نقسمه أحواضا .. نرويه رية المحاياه.

بعدها نعود إلى دارنا الصغيرة .. ننام متجاورين فوق بساط الطفولة الذهبى .. تحكين لى .. كيف أرخيت ضفيرتيك الصفراوين وراءنا .. ليشعا .. فى عين الشمس ، والظل .. ألوانا تتغاير بتغير زوايا اللعب ، والأكل ، والشرب ، والمضاحكة.

يحمر خداك حين تقترب أنفاسنا .. أرى عوالم خضرة العينين .. عميقتين عمق حقول بكر .. كرواية أفض بكارتها لأول مرة في حياتى ..أنهيتها فى جلسة واحدة .. أدركت مستوياتها الدلالية بعد تأمل ، وتمعن بطيئين . أدركت كيف تتحكم الخرافة والفكر السفلى .. فى كثير من تصرفاتنا وكيف أن فاطمة بنت زينب العطارة .. لبسها أخوها .. أو هى من لبست أخاها ، وهى تزيل شعر ساقيها البيضاوين .. حين أنحسر جلبابها عن فخذيها البضين وانكشفت وبانت فى القاعة الداخلية .. قبل دخلتها بثلاثة أيام على من لم يكن خيّالها .. مما دفعها إلى الشعشعة .. تجرى على سطح دارنا القديمة .. تقفز إلى الأسطح المجاورة .. تنادى بأعلى صوتها على الرائح والغادى .. تكلم زواليع الطين الممتلئة بالخزين .. تشق ثيابها إلى الذيل .. تخرج من كامل ملابسها .. بيضاء محمرة .. تلمع فى أشعة الشمس .. تبرق فى فضة القمر .. حين يسترونها تضحك وتبكى فى وقت واحد قائلة « هم اللى حاشونى .. وحين تسأل عمن حاشها .. تقول « ما دخلونيش ».

جفا البنت النوم .. امتنعت عن الزاد .. تخلى عنها خطيبها المفروض .. داخ بها أهلها على كل من يطلق البخور .. كل من يتمتم بكلمات الأحاجى والطلاسم .. دقوا لها زارا منقرضا . أشبه ما يكون بالديسكو .. ذبحوا لها بكْرا يتيما .. بعد أن زوروه المشايخ وزعوا علينا أكياس السودانى والبلح

والحمص والفراولة .. بعدما أكلنا الأرز باللبن .. أخذوا من كل واحد منا أثرا.. حرقوه ليلة الجمعة .. بخروها بالبقايا .. كتبوا على صحن من الصينى الأبيض بالأحمر حروفا مقطعة .. مربعات ومثلثات ودائر .. رسموا داخلها عيونا وشموسا وأرقاما .. «يُغسل الصحن بماء الزعفران » تشرب نصفه .. « وتستحم بالنصف الثانى لحظة آذان الجمعة .. حسبوا لها النجم .. قرأوا لها الطالع .. قيل فى النهاية إنها لن تشفى إلا إذا باض الحمام الهزاز على الوتد ..

أشار عليهم بعض الصالحين بالرقى ، وقراءة القرآن كله مرة واحدة .. بعد صلاة العصر .. ثلاثون رجلا وامرأة ممن يجيدون القراءة .. يتحلقون حولها وهى راقدة ممددة فى المنتصف .. كتابوت الزهور فى قاعة المؤتمرات الكبرى .. كل واحد وواحدة يقرأ جزءا من المصحف .. مغايرا لما يقرأه الآخرون . بحيث ينتهون فى نفس واحد ..

بينما أشار أخوها الأوسط بضربها بالجريد والشماريخ .. أو الشباشب والبُلغ .. أيهما أوجع .. حتى يخرج من رأسها من لبسها .. أو تقر بمن فعل بها هذا الذى كان .. رفض أبوها وأمها .

أخيرا أشار عليهم رجل واع بالذهاب بها . إلى أى واحد من دكاترة النفساوية .. فى البندر أو العاصمة ..

بعد أن شاهدوا أستاذاً كبيرا .. فى القناة الثالثة يتحدث عن الضغط النفسى ، والضغط العصبى .. أتخذوا قرارا بالسفر إلى العاصمة ..

قالوا إنهم حصلوا على عنوانه من سجل العيادة بالتليفون .. بعد أن «جابوا النمرة من الدليل .. أخذوا عربة من الباب إلى الباب .. مائة جنيه

للكشف لم تكن مفاجأة .. العيادة مكتظة بالمرضى أغلبهم من الشباب والشابات . قليل من كانوا من العواجيز أو الكسر..

أدخلوهم على الطبيب المساعد .. الذى يجهز الحالات للأستاذ .. جلست فاطمة صامتة زائغة النظرات .. ترتعش فى نوع من التوتر .. تجلس وتقوم .. وتقوم وتجلس .. تتجه إلى ناحية الباب فيردها أبوها .. أعطاها الطبيب مهدئا.. بدأ يسجل البيانات والمعلومات عن الحالة .. قالت أمها كانت تضحك قليلا ، وتبكى كثيرا .. بعد أن رأت صديقة عمرها محروسة بنت الكلاف .. بتْحرِق عينى عينك .. ليلة ما طارت الحريقة فى القرية .. كانت تبكى كلما سمعت العيال يغنون (أبو طور الجعبويةْ .. طارت فيها اللهلويةْ.. النسوان تصوت ، والرجالة مرعوبة) ثم تضحك ..تقف أمام مرآة الدولاب .. توسع شدقيها بسبابتيها .. تبرز أسنانها .. تخرج لسانها .. حين تهدأ تسمع أصواتا فى أذنيها .. أحيانا من اليمين .. أحيانا من اليسار .. لا تطيق تزحيف أية مداس إلى جوارها .. حين يأتى أحد لزيارتنا . تجرى إلى الداخل.. اتهمت كل أخواتها .. قرايبنا والغرايب .. حتى جدتها .. انهم جواسيس .. عايزين يحرقوها زى محروسة ..

وحين سأل الطبيب عن أفراد العائلة .. « وهل هناك أحد من الطرفين .. عنده هذه الحالة ؟ أجاب كلاهما - الأب والأم - فى نفس الوقت بالنفى ..

ثم جاءنا من أقسم بأغلظ الأيمان .. أنه لولا شطارة أمها ما فتحوا دكان العطارة فى باب البحر .. وأنه اشترى من عندهم من أسبوع فقطياميش رمضان ..

وجاء من يؤكد أنهم فتحوا السلخة المترين فى نصف .. على ناصية شارع الإسعاف محلا له طاولة على الرصيف (للتيك أواى) وشغالة زى الولعة .. وإنه لسه لاهف سندويتشين وشاف « أخوها » على الكيس .. ولدع منه ثمانية جنيهات بالتمام والكمال ..

وأخيرا جاء من نفى كل هذه المزاعم .. جاء وبيده صورة بوتيك من بواتيك الجاهز فى وكالة البلح .. وأن ابنى الوسطانى اشترى من عندهم قميصه الأسود وبنطلونه الجينز .. وما علىَّ إلا أن أسأله ليقر بهذه الواقعة ..

المهم كثرت من حولهم الأقاويل والأحاديث حتى البنت لم تسلم من القيل والقال .. قال القوالون فى جلسات الجلوس على سير الناس .. إن البنت بعد أن انتزعت نفسها من بؤرة الظلام والظلال ، واسترجعت نفسها والتصقت فى حميمية بأشيائها .. طلع عليها صباح الحماس .. عاونت فى أعمال البيت . ثم خرجت إلى مناطق أكثر توهجا بالضوء .. شاركت أسرتها فى أعمال التجارة.. بل وتفوقت على أمها ..

وقيل إنها تزوجت من ثرى أجنبى ، وعدت معه البر كله إلى بلاده البعيدة.. ولما مات عادت وقد ورثت عنه الملايين ..

وقيل إنها أصبحت سيدة أعمال تلعب بالجنيه و(البنتو) .. وإنها قد شوهدت منذ شهرين تقريبا .. فى مصنع بورسعيد للملابس الجاهزة .. مع صاحبه الجديد .. الإنجليزى اليهودى .. الذى اشتراه من الحكومة ، تعاقدت معه على رسالتين من الجينزات لبوتيكاتها فى وكالة البلح ، وشارع عبدالعزيز..

وقيل إنها لم توفق فى زواجها السابق ، وإنها عادت مهيضة .. من غير

عيالها وإنها تجلس بالساعات تبكى تعاستها وميلة بختها .. إلى آخر هذه الأقوال..

لكن مالم يجرؤ أحد على قوله .. هو أن فاطمة تزوجت ممن لبسها ولبسته.. حسين ابن العمدة الذى زرق لها .. من وراء بنيّة الحمام الخشبية على سطحنا القديم .. فى ظهرية قائظة .. فى يوم من أيام الدراس ، والجميع فى الأجران .. وهى تزيل الشعر الأصفر عن ساقيها البضين .. والبيضاوين .. فى بحراية القاعة الداخلية .. أمام عرصة الفرن .

القصة الفائزة بالمركز الثالث

(أفيون الأندروفين وحسابات السنين)

سمير شوقي سليمان
الجيزة

ما إن فرغ حكيمباشي المستشفى من عبارته حتى هبت عاصفة كادت تطيح بالغرزة وما فيها .. قال إن جسم الإنسان يفرز أفيونا طبيعيا من صنع الله اسمه « الإندروفين » !!

هتف عبده الحلاق : « زنديق » .

هب الشيخ منعم صارخا : كافر . افترى على الله كذبا ..

تراجع عبد الموجود الأزهرى فى كرسيه مستنكرا : الانسان لحم والأفيون عشب .. وقد فرقهما الله .. فكيف يجمعهما الحكيمباشى فى حيز واحد ؟!!

تأرجحت عمامة عبدالحى المجذوب كالبندول ... انبثقت منه صرخة كالرعد:

« حى .. الله موجود .. ولا إندروفين فى الوجود ».

سحب كل منا مداسه .. و أشبع به الحكيمباشى ضربا .. كدنا نفتك به ، لولا أنه « نفد بجلده » إلى مدينة بعيدة لاذ بأسوارها .

عاجلنا القصاص الإلهى قبل أن تنفض القعدة فأطبقت علينا شرطة المخدرات .

أودع ثلاثتنا السجن : « أحمد » صاحب مصنع الورق ، و « على » مالك المطبعة ، و « شريف » صاحب المكتبة ... أنا !!

فى ذلك المكان تم تعديل أسمائنا طبقا لتهمتنا المتعلقة بالمزاج .. صرنا : « أحمد الرايق » . . « على الرايق » .. « شريف الرايق» .. هناك نبتت فكرة تكوين مؤسسة الرايق إخوان الثقافية التى لعبت دورا تاريخيا فى تشكيل فكر هذه الأمة .

سنة قاسية فى السجن علمتنا أن نكره « الكيف » .. بعد خروجنا أقسمنا أن نقلع عنه .. طفنا بمشايخ مساجد عموم القطر .. أخذوا علينا العهد ألا نلمس « جوزة » .. أو نفض « سُلوُفان » .. أو نستقل مركبة يسقط ظلها على حى « الباطنية ».

ذات يوم « طقَّت » جماجمنا من الحرمان فاجتمعنا لنقرر كيف نواجه الوضع الجديد .

طلع علينا أحمد الرايق بالحل السحرى : كتاب من أوراق البانجو .. خدش ثمرة خشخاش ، فسالت عصارتها على صفحاته حروفا مخدرة .. كنا نمرغ وجوهنا الصفحات الحبيبة .. نتمسح فى الحروف المباركة فتنخدر دون أن ننقض عهدا أو نحنث بقسم .

ولأن أحمد « شايلوك » حقيقة يعرف من أين تؤكل الكتف فقد فجر باختراعه شلالا من أوراق البنكنوت غرقنا فيه .

كان ينقع الورق فى محلول مخدر .. يرسله إلى مطبعة على الرايق فيطبع الحروف عليه بالخشخاش .. بمجرد أن تصل الكتب إلى مكتبتى تنفد الطبعة .

بدأنا بالكتب الصفراء .. زيناها بعبارات - تدير الرؤوس .. تبعث الانسجام فى النفوس - طبعناها بالخط الكوفى تمييزا لها عما عداها :« الصبر مفتاح الفرج ... اجرى جرى الوحوش غير رزقك لم تحوش .. قضا أخف من قضا ».

أن يرسب ابنك فى خمس مواد أفضل من أن يدهمه قطار .. إذا أصابك الخضار المرشوش بفشل كلوى فاحمد الله على أنه ليس سرطانا .. إن غاب الانضباط فاغتصب جارتك شخص واحد . أليس أفضل من أن يرتفع العدد

إلى خمسة ؟!!

كان الزبائن يتزاحمون ويتضاربون بالآلاف أمام مكتبتى « نبع السرور » فيتعطل المرور .. يقفون فى طوابير الانتظار ما بين طبعة وأخرى لفترات .. كانت تحسب فى البداية بالأيام ثم بالأسابيع .. أخيرا تمددت إلى شهور .

بالقرب منهم تناثر بائعو الشاى والسندويتشات ... بينهم أندس النشالون و المخبرون يمارسون مهامهم فى منظومة تثير الإعجاب .

عشرة فنادق .. ثلاثة مواقف انتظار للسيارت .. خمسون مقهى افتتحت بجواره فى ظرف سنة والمشكلة على حالها .. أنى لها تستوعب هذا الكم الهائل الزاحف علينا من الأقاليم ؟!!

انتشرت لأول مرة ظاهرة « خلو الرجل فى الطوابير » استغلها السماسرة و« الهبّاشون » .. كان الرجل يقف فى الصف حتى توافيه المنية .. يتنازع أبناؤه فى المحاكم الحق فى من يرث مكانه فى الطابور !

من أجل توصيل كتبنا إلى كافة فئات الشعب الكادحة .. طبعنا كتبا خالية من الحروف .. خاصة بإخواننا « البصمجية » و رواد فصول محو الأمية... هكذا كنا نرد على لائمينا .. : « ما قيمة السطور .. هم يقرأون ما بين السطور ».

ترجم الدكتور على المتحذلق مؤلفاتنا إلى اللغات الأجنبية .. تحت أعمدة الإضاءة شاهدنا العجب فى الميدان القريب .. الأفندى والخواجة يقرآن : يتخدر الأول من اليمين لليسار والثانى من اليسار لليمين.

ظاهرة ملفتة كهذه أربكت المرور ... رفعت سعر المتر فى المنطقة .. لم يكن من السهل أن تمر من تحت أنف الحكومة دون أن تَشتَمّ ... لم يكن من

المخدرات - و برفقتها مرشح الحزب الحاكم ، وكانت الانتخابات على الأبواب - تطبق على مكتبتى وتأخذ عينات من الكتب للتحليل .. سقط قلبى فى قدمى قفزت إلى ذهنى ذكريات صقيع بلاط السجن فى عز طوبة .

تهادى إلىَّ شريكاى بعد أن عرفا الخبر .. كانا باردى الأعصاب بدرجة تغيظ طمأنانى بأنهما منذ ثلاثة أشهر ، توقفا عن استخدام المحلول المخدر والخشخاش لإرتفاع أثمان خاماتها .. تحيرت كيف ظلت الكتب - رغم ذلك - مختفظة بتأثيرها المخدر على الناس !!

قدم لى أحمد الرايق تفسيرا بسيطا مقنعا : هم قوم مزاجيون .. ونحن قدمنا لهم ما يحتاجونه للهروب من واقعهم .. إنه سحر الوهم يا صديقى طيب القلب.

عندما لم يسفر التحليل عن وجود مخدر .. تعددت التأويلات فى إدارة مكافحة المخدرات ، فاضطر مديرها اللواء شديد عبد الجبار إلى الاستعانة بالعلماء .. جاسوا بعدساتهم المكبرة بين الحروف .. اكتشفوا الحقيقة : إن كلماتنا المطبوعة بالخط الكوفى مثل : « الأمل » و « الحلم» و « الجنة » لها تأثيرها الخطير على الجهاز العصبى للإنسان .. تنفذ إلى جسده تستثيره .. يفرز الأفيون الطبيعى المسمى بالإندورفين .. يخدره فيتأرجح فى الأحلام هانئا.. غير عابئ بحسابات السنين .

- نفس الكلام الذى ردده يوما الحكيمباشى وكذبناه - ... بل إن كبيرهم صرح بأنها أسرع تأثيرا من الأفيون العشب .

أضاف أن الأخير يحتاج إلى دقائق بين استحلابه وظهور فاعليته فى الدم.. بينما تنفذ هى خلال العصب البصرى أو السمعى فيبدأ تأثيرها فى الحال .

استدعتنا الحكومة حينذاك .. أمرتنا ألا نطبع كتبا إلا لحسابها.

انتقلت مؤسستنا - الرايق إخوان - من مرحلة الكتب الدينية إلى مرحلة الكتب السياسية .. ازدحمت سطورنا الكوفية بشعارات :

الخطة الخمسية السعيدة .. الحلم حق لكل مواطن .. من أجل مستقبل أفضل لأبنائكم.

انتشرت فروعنا فى كل مكان .. أوصونا بأن ندس - من حين لآخر - فى إصدارات فرع السيدة : « الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»..

فى كتب فرع شبرا « أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله ».

من وقتها صرنا نسير بين الناس متباهين بأننا لسان حال الدولة .. بأن كتبنا المهمة كانت وراء فوز مرشح الحزب الحاكم - رمز الشيشة - بأغلبية غير مسبوقة ٩٩.٩ ٪ .

فى اليوم المشهود بدأ أستاذ « البنج »الشهير تجربته موضع اهتمام وسائل الإعلام العالمية ... داخل أسطوانة التعقيم على يمينه استقرت كل مفردات اللغة - مكتوبة بخط كوفى واضح - فى وضع الاستعداد.

كان يصب كمية - محسوبة بدقة - من الكلمات المخدرة خلال قمع فى أذن المريض .. تستدعى إندورفيناته فيغيب عن الوجود.

لو استشعر أن جرعة المخدر عالية .. سارع إلى « الجفت » .. فحذف به فاعلاً أو جملة شرطية .. إن أحس أن تأثير البنج سينحسر عن جسد المريض بادر بإضافة حال أو ظرف زمان .. ربما استدعى إحدى أخوات كان - من حفل عرسها - لإنقاذ الموقف .. !!

سجل على الرايق العملية بعدسة فيديو تم استيرادها من اليابان - لها

خاصية إظهار الكلمات . . . للأسف تخدرت الكاميرا . . ترنحت . . اهتزت المرئيات أمامها . . فسد الفيلم عند التحميض !!

ما إن انتهينا من تلقى التهانى . . حتى هرعنا إلى حفل توزيع جوائز الدولة . . تسلم أحمد نوط الاستحقاق من الطبقة الثانية . فازت به مؤسستنا تقديرا لجهودها فى مجال تحديد النسل .

ذكر رئيس اللجنة فى حيثياته . أن حروفنا الكوفية قد نشرت الاسترخاء التام و النوم الزؤام . . فقضت على تمدد العضلة المهم . . الذى بدونه لا تأتى العيال !!.

جاء فى تقريره . . أن الزوج المتثائب المبتسم صار يكتفى من أفعال الغزل . . بحكايات قبل النوم يقصها على حرمه المسترخية السعيدة حتى يؤذن الديك . . يدير كل منهما ظهره للآخر . . يغط فى نوم هانئ حافل بالأحلام الوردية !!

جاء فى نشرة الصباح . . أنه بعد إلغاء يوم الخميس أصبحت أيام الأسبوع ستة . . فتم تعديل التقويم الفلكى !!

أثناء ندوة الجمعية الطبية . . تأمل بروفيسور « س . دارْون » عالم النشوء والارتقاء أعضاء أجساد الحضور مرتاعا : « تقدمتم للخلف . . صعدتم للهاوية !! ».

من خلال دخان غليونه نفذ إلى زبد الحكمة : إن العضو يقوى بالاستعمال ويضمر بالإهمال .

« فها هى أيديكم وجماجمكم الخاوية قد انكمشت . . تكورات نسائكم اندثرت . . . يسير الرجل منكم فى الشارع فلا يتدلى بين ساقيه شىء .

أما شفاهكم المنفرجة السعيدة ـ الوحيدة التى تستخدمونها الآن ـ فقد تمددت بين الأذنين دون عائق ».

أنهى عبارته .. أخذ يحدق فينا مندهشا .. كما لو كنا من عجائب الدنيا السبع !!!

بينما كنا نراجع كتابا طبعناه عن الفو هرر ـ أول من أدخل الأفيون الألمانى على الخطب ـ اقتحم علينا الغرفة على الرايق .. أنبأنا بنشوب الحرب ... أدرنا مؤشر المذياع ... فعرفنا أن جيوشنا تقدمت مظفرة إلى خط الدفاع الثامن ..

قهقهنا فى سعادة : « خسرنا معركة وكسبنا ثورة » .. تراقصت أمامنا حروف كلمة « هزيمة » ـ فى خيلاء ـ وسط الدخان الأزرق المتصاعد .. زينا ضفائرها بفيونكات .. دللناها باسم الدلع الجديد « نكسة ».

ونحن مسترخون بالحجرة نتابع تقارير وكالات الأنباء .. ظلت أدمغتنا ثابتة على المبدإ .. تعى ولاتنفعل .. تفهم ولا تتأثر .. تساءلنا نحن الرايقين: إن ضاقت بنا الدنيا فلم نسبب إزعاجاً للكرة الأرضية ؟!! .. من الأسهل أن نرحل إلى السماء .. حيث « الرَاحْ والاتكاء و « الارئك » .. فالاضطجاع هو مربط الفرس ... الاسترخاء هو كل ما نبغى !!!.

الآن يا صديقى ونحن فى وقت العصارى ، والهواء العليل يهب .. فيرطب الوجوه ويداعب صفحة الماء .. وقد حللت بعوامتى فى إمبابة سهلاً .. تبغى قرى الضيف . دعنى أنبئك بأنه لاتوجد بجعبتى الآن الأعشاب المخدرة التى جئت تنشدها . لكن أرجوك .. لا ترحل عنى غاضبا متهما إيبى بالبخل والتقصير ... هاك البديل : ثلاث لفافات من « السلوفان » تلتمع فى

إغراء.. فضّها تجد فى الأولى كلمة « سلوى » .. تعثر فى الثانية على لفظ « حلم » .. وفى الثالثة على « أمل » استحلبها تحت لسانك .. عندما تتجاور الثلاثة داخل مخك .. سوف تبعث فيك خدرا لم تعرفه قبلاً !!!

حينذاك سوف أبدأ التجربة ، التى أجراها أمامى أحمد الرايق أمس ... وعلى الرايق أول أمس : الطيران إلى الجنة سباحه . فما أجمل أن ينغمس الواحد منا فى الماء لحظة انعكاس شفق الغروب .. ينهى حياته فيه متحورا على الهيئة التى طالما عشقها : « الجوزة » .. تكركر أنفاسه الأخيرة من تحت الماء .. متصاعدة على هيئة فقاعات .

هذا ما فعله قبلى .. وما سوف أفعله الآن .. لاتغادر المكان .. أرجوك.. انتظر حتى أطفو على السطح سميناً .. منتفخا بالماء .. حينئذ أتمم صنيعك.. احملنى على ظهرك .. اعبر بى الطريق إلى الرصيف المقابل .. حيث « حانوتى السعادة الأبدية .. سر فى جنازتى .. عندما يصب « الحانوتى » الخبيث كلماته الكوفيةَ السحرية فى آذاننا ـ أنا والنعش ـ سوف يستدعى الأندروفينات إلى جثتى وهيكله الخشبى .. يتخدر النعش ويفقد اتزانه . فإذا لكزه الحانوتى .. جن جنونه .. طار فى الفضاء بأسرع من الصوت .. سيعلو تكبير الجهلاء ظانين أنها كرامة الميت !!.

أقهقه داخل نعشى . ساخرا من غفلتهم .. هم لايعرفون أن الكلمات المخدرة تفعل الأعاجيب حتى فى الموتى .. وأنها تؤثر حتى فى الخشب ..!!!.

المركز الرابـع

(للبحر عاصفتي)

عفت بركات
دميـــاط

سكبتُك فى أعضائى ؛ فامتزجت بك الخلايا والكريات ، ثم ... لن يستطيعوا خَلْعَكَ الآن لقد كنتَ نقيًا قبل أن تطأ أقدام النحاسة بتلك الماثلة لضلعيك تضمها ضمة "إيزيس" تنفث فيها من روحك علّها من روث الفرنجة الذين سلبوها بكارتها قديما ، وحطّموا "سلسالها" الحصين ، وبائعو الأعراض فى زمننا – لاهُمْ عرب مثلنا ولاهم مفرنجون –، أغرتهم الدّولاراتُ سوداءُ القلب فأزاحوا من أمامهم كلَّ غال .. وفرطوا فى كل شيء ؛ فاختلَطْتَ أنتَ بالعفن – خداعهم – ودم الغارقين فيك لعالم أسمى ... (علّهم وصلوا الآن)

– بماذا أناديك يا ابنة البحر والعاصفة؟

هكذا ... كانت تداعبنى جدَّتى كلما رأتنى ألهو بالشاطئ الوسيع..

أضحكُ حتى تدمع عيناى ، وهى تتلقفنى بصدرها الأوسع من عمرها ، نشوى بما أحظى به من ألقاب لم يشترها لى مال ولا سلطان ، وكنتُ قد عاهدته منذ أودعته حواسى ، ألا أخفى عنه شيئاً طول حياتى ،ترقبنى أعينهم التى اعتادت رؤيتى بقاعه ، وتلصّصت آذانهم لما كان يدور بيننا ...

قالوا : مسَّنى جنّى البحر

حاولوا خَلْعةُ من داخلى وما توصلوا لشيء ، أقاموا حلقة الزّار فى البيت وأنا دون السادسة ، ألبسونى عباءة نومى وأشغلوا المواقدَ حولى ؛ فابتعلنى الُدخان كما ابتلع أركانَ الحجرة وكل النسوة اللائى أسلمن أنفسهن للمكبوت داخلهن ؛ فراح يموج كأجسامهن بعنف هستيرى ، رُحْنَ يقفزن حولى فتلاشيتُ وسط طبول وفرقعات لأصوات عالية ... أخافتنى ؛ فَرُحتُ أبكى وألعنُهن إذ حَرَمْنَنى اللهوَ بشاطئ هذا المساء ، رقصن ومجنَّ .. واستحلفْنَ الشياطين أن

تدعني ، ولم تُجدِ توسّلاتهن لهم بالانصراف ، صرختُ حينما لطخني دماءُ قرابينهن التي وَهبْنها لأسيادهن ، كي ينصروا عن الجسدِ الصغير ، سقطتُ في بركةٍ من الدماء ، صنعتها قرابينهن المقهورةُ مثلي ، استغاثوا بجدّتي .. وقد أتت على صراخي الذي تصدَّعت له صخورُ الشاطئِ الحزينِ ليلتها ..

لفظهمْ : الجانّ داخلكم أنتم !

قذفتهم بكل ألوان السبابِ ، وغسلتني بدمعها الذي تخطىّ حواجزَ الغليان ، واحتضنتني حضنا لم يبرأ جسدي منه حتى الآن .

* *

رحلت جدتي بعدها - لا أدرى لأين ، قالوا .. "ابتلعها البحر" ، قلبه الصخر لم يرحم بكتها النوارسُ والطرقات وشجرات كن استبحنَ ضلعَيْ الفنار ؛ فأقمن حولة سياجا مزركشا بالحنين ، كان يحلو لنا الجلوسُ أسفلَه ؛ لتقص على أحلامَها وأوجاعها وترضعني شهد خبرتها ، لم تبكها عيناى كُنت على يقين بأنها قادمة لتهد ـ هدني كعادتها حينما أثورُ بجهلهم .. (لك اللّه يا صغيرتي .. ولدتك أمك في رحم العاصفة .. ولم ترضعك تعويذة الخلاص من العصيان).

قالوا إن ما حدث بالأمس كابوس ، لأنني أكلّم البحَر ليلاً .. ولا أزركش ملابسي بتراب اللهو مع الصغار ، ولا أصادق سوى النخلِ والنوارس والصخور.. ، حالوا إيهامي بأن الجدّة لن تعودَ بالرغم أن دموعها تغسلُني كلَّ مساء وتستحلفني ألا أصرُخ .

باكتمال القمرِ تحولُ حول الدار ، تسحبني بعيدا عنهم ؛ لتلقنني أشياءَ عن عالمٍ آخرَ أسفلَ هذا الماء الممتدِّ لأوردتي ...

كُنت أشاهدهُنَّ ليلاً يتسللن عَبْر الشاطئ الخالى من الأنفاس ، ورغم اختلائى به إلا أننى لا أفزعُ من عتمته .

لم تكن أكثر المنازل قد اتخذت من المصابيح أخلاًء ، يظهرن حين يفوح الصمتُ بالطرقات .. يتلفتن حولهن ألفَ مرةٍ حتى يقطعن الخطواتِ الضئيلة بين المنازل والمركبات ، وتمدّ لهن الأيدى ؛ فيصعدن متكئين على مرافئ الشاطئ وعلى آخر ما تبقى فيهن من أعصاب دغدغها الخوفُ ، ثم يختفين بجحور المركبات باقى الليل، ولم أكن أعى سر صعودِهنَّ المركبات ، وأذكُر يوم أخبرتُهم بالدّارحذّرونى من البوح ، وأوهمونى أنهن : جنّيات البحر ... يصعدن لُيعبثّن صدورهن بهوائنا قليلا ، ثم يَعُدْن لقاعة ثانيةً فهن لايقوين على الحياةِ بعيدا عنه، استفزّتنى لعنات جدّتى - الخرساء - ؛ فارتميتُ بصدرها أستحلفها البوحَ بما لا يستطيعون ، فتنهدتْ تنهيدةً خلعَتْ معها القلبَ الصغَير ... واعتصرتنى :

- لاتتعجلى العاصفة ... يا ابنة البحرِ والعاصفة .

* *

كبر الجسدُ الذى ما رعبتهُ يوما ... ورغما عنّى اكتسب عنادى ... تفتحت أرهار الرُّمان الخجلىِ بالصدر اللّوزى ، وجمَحتْ أنوثتى ، سرفتنى خصلاتُ الشَّعرِ إلى آخر مدى لها .. وليستنى ملامح جدتى .. أصبح كلما رانى تثور الرغبُة داخلة ، فلا يقوى على ارتطامِ جسدِي الثائرِ بجسده ، ولا دغدغةِ أصابعى لحباتِ رمالِه وموجاته وصَدَفاته التى يتقيأها على شاطئيه ، يثور برفق ويلطمنى بموجهِ الحنون ؛ لأبتعد .. فأحترمَ رغبتهُ .. وأقذفه بضحكتى التى تشيبُ جوارحه لها .. وثقته شوقا إلى التهامى .

أكتفى بالقفز على صخوره المتلاصقة بلا نظام .. كلّ منهن تتسابق فى لَمْسِ أطرافه .. وأشعُر بالغيرة تفتّت قلب الصخر نحوى .. يالَهُ من ساحرٍ غلبتْهُ شقاوتى ظللت أترقب رؤيتهن كلَّ مساء ... يعبُرن الشاطئ متسللين؛ ليقذفن بأنفسهن فى طلسمه ، لم أفزع لهن ... ولم تشعر بى أى منهن وأنا أتسلّل ؛ لأتلصصّ ؛ بالسَّمع إلى المركبات التى أدنو إليها بعدما يصعدن ، على أسمع لهن لُغةً أفهمها ، ولم يصلنى منهن سوى تأوهّاتهن وضحكاتهن العارية ، كنتُ بادئ الأمر أظنها نشوَة التقائهن بمائه الذى حُرِمْنَ منه ساعاتُ انفصالهن عنه .. إلا أنها كانت تشعرنى بالغثيان . لم أعتد رؤيتهن فى العواصف والأنواء ، وكنت أعجبُ لهن ، لماذا لايحضرن إلاَّ والشاطئُ خالٍ؟ .

* *

ذات مساءٍ كنت أسامُره كعادتى .. وكان يهدهدنى بنسائمة المبللة برطوبةِ تشرين ، ولم يكن بالشط سواى ...

رأيتها تتلصص الوصول إلى مركبة " الرفاعى" أقوى ملاحى البلدة رباه أبى شيخ الصيادين ، كان جميلاً ؛ كمركبه التى أودع فيها حصاده فى بلاد الثلج منذ كان فتى صغيرا .... ،

تحول حولة الظنون ... إلا أنهم يجسدون زوجته عليه .

دفعنى الفضولُ نحوها .. تسلّلت خلفها .. مددتُ يدى أتلمس رداءها المذعور ... أوقفتنى صرختها المكتومة فى وجهى ... ارتجّ جسدهُا المتأججُ بأنوثته ... وابتلعتنى ملامحها ... فأدركْتُ أن فزعها لكونى أعرفُها .

هى إحدى جاراتنا الحسناوات اللاتى لم يلتقين بأزواجهن سوى شهرا واحدا من كل عام .. ينقبون لزوجاتهم عن كنوزِ سُليمانِ حتى تقنَعن بحياتهن معهم

أدركت لحظتها أيةَ عاصفةٍ كانت تقصدُ جدَّتى . لم تشأ صرختى البوحَ بزفيرِ بركانها الآخذِ فى الانصهار ، فرّت الحسناء كفأرٍ مذعورٍ إلى آخر مدىً لتستتر عن عينى .. ، وتركنى فى مواجهته.. أفزعته دهشتى التى أخرسَتْ كلَّ حواسى ، نظر إلىّ فى خجلٍ ... وانزوى عاريا . ومثلما ولدتنى الأصداف : لملمتُ جهلَ سنواتى التى سقطَتْ منى أسفل أكاذيبهم .. وبصقتُ عليه كل غضبى .

* *

لم أذهب إليه كعادتى فى الصباح ؛ ليتوضَّأ بطلعتى ؛ ظللت مكومةً بالحجرة...أتدثر بأشياء جدتى التى افتقدتها .

صوته خلف الجدران - يأتينى - وكُنّا على أعتابِ الشتاء ؛ فلم يَعننى صياحُه ، وأنا على يقين بأنه يدعونى إليه ، عبر خلايا النوافذ والجدران جاءتنى أصواتُهم يتحدثون عن ثورتِه التى لم يروا مثلها ... وزئيره الذى لم يسمعوه من قبل ... رغم أن النوارسَ - نذير العواصفِ والأنواء - لم تعانقْ صفحته بعد ، وحدى كنتُ أعلم أنه يصرخ خجلاً منى .. كان يستجمعُ قواه ليخلع عن جلده دنسا أحد ثوه به فيتقيأ هم ..لتعود بكارتهُ الأولى .

* *

مر اليوم بطيئا .. الرجالُ قبل النسوةِ فى الدُّور وبالشط ، يستحلفونه أن يرحَم مركباتهم وسنواتِ الحصاد ، راح يزأرُ زئيرا لم أعهده فى حياتى ، علت صرخاتهُ .. فتخطَّت حواجزَ الأمواج ، ووصلَتْ إلى منازلنا التى تراجعتْ ذُعرا... ، والنسوةُ يثرثرن بالشرفاتِ عن حاله الذى تبدّله علت صرخات الملاحين حينما تقيأ البحر مركباتهم التى ضمت جنّياتِ الشهوة أعواما ،

وتجمّد "الرفاعى" داخلَ عباءة فَزَعه ، لم يصرُخ ككل الملاحين ، تحطمت المركباتُ بفعل ارتطامها بصخورِ الشط كارتطامِ الزبَد ، وتحطم معها عمر بأكمله من الحصاد ، لفظها البحُر على الشاطئ ؛ فتناثرت كأفراخ النوارس تبحثُ عن ملجأ لها ...

صرخ الناسُ بوجه عاصفةِ البحر ... الذى هدأ زئيُره تراجعت أمواجه بعدما خلع عن نفسه ما ألبسوه من زيف ، تحدثَ الجميع عن المعجزة ، وكيف تحطّمت دون الأخرى ، غرقوا فى تساؤلاتهم وجهلهم وثرثراتهم المعهودة ... لحظتها... كان يلوح لى ويبتسم.

المركـز الخامس

(امتـثـــال)

وائـل محمـد وجـدى
القاهـرة

.. الوظيفة ، لم تكن من أحلامك .. تمقت القيود .. تعشق الحرية .. لاتحب الشكليات .. ربت خالك كتفك :

– لا تحتاج إلى التفكير .ضغطت على شفتك السفلى :

– لا أحب الروتين والرتابة الوظيفية . قال خالك ، بحيرة : إن التعيين فى بنك من الأمور النادرة ؛ هذه الأيام نظرت إلى سقف الحجرة ، وقلت بهدوء :

– إنها فرصة ، ولكن لا أتصور نفسى موظفا .لاحت ابتسامة ، على ثغر خالك: المهم أنك موافق على الفكرة.

* *

جفاك النوم – فى الليلة السابقة لذهابك إلى العمل – أيكون تعيينك فى البنك ؛ هو الذى تسعى إليه؟ . أم هى تجربة ، تتبعها تجارب أخرى ؟ .. هواجس كثيرة تضاربت فى رأسك وتداخلت الدوائر .. وجلست تتأمل الفراغ، مستنشقا نسمات الهواء – الشتوية – التى تنساب من خصاص نافذة حجرتك، مع ظلال النور الخافت ، الساقط على الحائط قطع السكون السادر رنين "المنبه". أغلقته، ونظرت إلى عقارب ساعتك .. ألفيتها تقترب من السابعة .. هرعت مسرعا ، ترتدى ملابسك ..نثرت وجهك بالماء البارد ، المندفع من الصنبور ، وخرجت من شقتك . وقفزت فى أتوبيس ، متجها إلى ميدان التحرير.

* *

لم تكن تعلم ، ماهى وظيفة خالك – بالضبط – كل ما تعرفه : أنه فى درجة وكيل وزارة .

سألت عنه : موظف الأمن .. رحب بك ، وقال : الدور الرابع ... وقفت أمام المصعد - الأوسط - المخصص للأدوار الزوجية .. وبعد دقائق دخلت فيه، وطلبت النزول فى الدور الرابع ،، خرجت من المصعد ، تطالعك : لوحة إرشادية ذهبية اللون : ؛ قطاع التخطيط والتنظيم والتدريب؛ ، وسهم يتجه إلى الجهة اليمنى . اتجهت خطواتك ، عبر مم قصير ، مفروش بسجادة قانية الحمرة .

ودلفت إلى مكتب ، مدون على بابه : "مكتب رئيس القطاع "قبل أن تسأل عن خالك ، وجدت فى انتظارك "عباس" - الذى عرفك بنفسه - أسمر البشرة ، ذو شارب دقيق ، وأنف حاد ، نحيف القد.. يرتدى قميصا أزرق ، وبنطالا أسود ، ورباط عنق ، تتداخل ألوان الطيف فى نسيجه .. وقال بتودد :

- خال سيادتكم فى اجتماع طارئ ، ولقد كلفنى بأن أنهى إجراءات تعيينك وقفت حائرا ، ورددت:

- شكرا .. شكرا .

.. مكتب فى إدارة شئون العاملين : تملأ أوراق التعيين ، بعد تقديم مسوغاتها ، وتوقع على أوراق ، وأوراق..

تقابلك ابتسامة الموظف المختص،والمديح فى شخص خالك .. وإصرار على الترحيب بك، بطلبات : الشاى والقهوة .. لكنك ، لم ترتح لتلميحات بعض الموظفين،وتحيتهم الباهتة ..

* *

جلست ـ ـ فى مكتب خالك ـ تتأمل عالما جديدا ، لم تألفه من قبل ..

وبعد ساعة تقريبا ، فتح باب الحجرة ، ودخل "عباس" وخالك ، مبتهجا وسلم عليك ، قائلاً :

- لقد قمت بالانتهاء من إجراءات التعيين.

قال خالك ، وهو يجلس على مكتبه :

- فورا ، يتم تخصيص مكتب له فى حجرة إدارة القضايا .. ولاتنس أن توصى " عبد الخالق سعيد "، وأن يعتنى بابن شقيقتى . هز - عباس - رأسه:

- فى الحال ، ستنفذ أوامرك ، ياسعادة البك ..

* *

أخذك "عباس" إلى الدور السادس، ودخلتما - آخر حجرة - وكان الباب مفتوحا .. وبادر "عباس" - بالتعريف بك لـ "عبد الخالق سعيد" - .. ألفيته بهم بالوقوف من وراء مكتبه .. ويشد على يدك بحفاوة ، وقال :

أهلاً بك فى إدارة القضايا . إن شاء لله ، تكون عند حسن ظنك . قلت بارتباك :

- شكراً ..

وجلس على الكرسى ، الملاصق لمكتبه ، وأخذ نفسا عميقا من سيجارته ، وأشار بيده ، كى تقعد ، وردد:

- سأعرفك بزملائك ، وبعد ذلك نتحدث عن العمل .

والتفت وراءه وضغط على مفتاح .. انبعث رنين ، متقطع ... ودخل ساعى المكتب ، قائلاً :

- أيوه يا افندم .. نظر إليه ، وبنبرات حازمة :

- بلغ المحامين بإدارة القضايا .. الحضور لدى فورا ..

قام " عبد الخالق سعيد" وأزاح كرسى مكتبه .. قعد عليه ، وسحب أحد الملفات - المتراصة أمامة - أخذ يقلب فى أوراقه ؛ يقرأ صفحاته بتركيز .. ينظر إليك سارحا ، ثم يعود مرة أخرى إلى الأوراق ..

نقرات ، متتابعة ، ومنتظمة على باب الحجرة .. ودخل ثلاثة من زملائه.. وقفوا قبالة مكتب "عبد الخالق سعيد" . وضع نظارة القراءة أمامه ، وأخذ رشفة من كوب الشاى :

- والآن ياخيرى ؛ سأعرفك بزملائك .

وأشار بيده قائلاً : عماد .. سامى .. نرمين ..

هموا بالتسليم عليك ، والبشاشة والترحاب ، تطلان من عيونهم .. نظر إليك "عبد الخالق سعيد" .. زوى ما بين حاجبيه:

- من قرار تعيينك : يتضح ،أنك أخصائى شئون قانونية ، ولست فنيا ..

قلت :ـ أرجو الإيضاح .

أضاف : ـ وفقا للائحة البنك ، وقانون الإدارات القانونية ، واللائحة التنفيذية . لايكون التعيين فى وظيفة محام إلا بإجراء مسابقة ، يعلن عنها فى جريدتين رسميتين. على العموم .. ستوزع عليك ملفات القضايا المنتهية؛ لكى تتعلم من قراءتها .. بإشراف زميلك عماد .. وأى معضلة .. أنا تحت أمرك .. لم تنبس بكلمة ، وخرجت مع زملائك من الحجرة ..

* *

جلست على مكتبك - الصغير- لصق الحائط الأوسط لحجرة القضايا .. على يمينك "عماد.. أمامك"نرمين" .. وفى الجانب الأيسر "سامى".. بادرك

عماد ، قائلاً :

- أجدك شاردا .. بنبرات خفيضة :

- حديثى مع مدير الإدارة ، أقلقنى ..

- لا تهتم بكلامه كثيرا .. أنت حاصل على ليسانس حقوق مثلنا ..

بحزن ، قلت : لقد أصابنى بالحيرة .

قام "سامى" من مكتبه ، ودنا من مكتبك و بصوت جهورى :

- سيادة خالك ، مشرف على قطاع الشئون القانونية .. لاتقلق .. بضيق،

قلت : - صحيح خالى ؛ هو الذى عيننى فى البنك ، لكن لا أحب أن تكون معاملتى على هذا الأساس ..

ابتسمت نرمين :

- سامى ، لم يقصد ذلك .. المهم لاتتأثر بكلام "عبد الخالق سعيد".

فتح"عماد" ، أحد أدراج مكتبه ، سحب ملفاً ،وبنظرات ودودة :

- اطلع عليها ، وسنتناقش فيها ، وأى استفسار . لاحرج فى الأمر ..

قلت: شكرا ...

* *

.. رنوت إلى عقارب ساعتك .. الثالثة تماما .. توقفت عن قراءة الملف ، ووضعته فى أحد أدراج مكتبك؛ كى تقوم بالتوقيع فى دفتر الانصراف .. لم تنتظر المصعد ، وهبطت السلم .. الزحام خانق.

.. خرجت إلى شارع "قصر العينى" تستنشق هواءا ، عابقا برائحة الانفلات من الروتين ...

المركز السادس

(مذبحة القاهرة)

تريزة چورج هارون
القاهرة

أربعة أشهر مرت منذ حصوله على درجة البكالوريوس ... هكذا فكر وهو يقف أمام الشباك محاولاً ابتلاع تشاغل الموظف عن الرد على سؤاله .

١ .. ٢ .. ٣ .. ٤ .... الصبر هكذا ظل يردد ثم عاود السؤال مرة أخرى: كيف يمكنني استخراج شهادة التخرج ؟

وبعد أن عبث الموظف بأدراج مكتبه ثم نظر إلى السقف ثم تحدث إلى زميلته أجاب : الشباك الثاني .

- شكراً .

حاول أن تكون طبيعيه فلطالما نادى بأن يكون الذوق والاحترام هما الأسلوب المستخدم في الحياة ، وفي طريقه إلى الشباك الآخر نظر إلى حذائه المهترئ ، لم يكن هكذا منذ أربعة أشهر لقد ذاب من اللف والدوران في شوارع القاهرة ، حاملاً معه الجريدة المُعلنة عن الوظيفة التي تناسب مؤهله سواء كانت في حارة أو في أرقى الأحياء ، وفي كل مرة كان السيناريو والحوار يتكرران ، عشرات ومئات المتقدمين ينتظرون ، كلهم مثله ، نفس المؤهل بل منهم من يحمل الماجستير والدكتوراه أو من لهم خبرة .. الأمل ضعيف لكنهم يشجعونه مبتسمين قائلين « عظيم .. انتظر منا تليفوناً ».

ويتجدد الأمل بداخله منتظرا رنين الهاتف منقضاً عليه كلما سمع صوته ، لكن في كل مرة لايكون مراده على الطرف الآخر .

استند إلى قدميه حتى يأتي دوره ويصل إلى الشباك مرددا : ١ .. ٢ .. ٣ .. الصبر مفتاح الفرج ، وتكرر نفس المشهد مع الموظفة المتشاغلة بالأكل لكنها سألته : اسمك ؟

- صابر صبرى

ألقت إليه بورقة إخلاء الطرف مشيرة إلى الشباك الثالث ، وبنظرة إلى ساعته تشير إلى الواحدة وميعاد المقابلة للوظيفة المعلن عنها فى الثالثة ، وفى القاهرة لكى تصل فى الميعاد لابد من التأهب قبلها بعدة ساعات ، لهذا فقد اكتفى بتلك الورقة مشجعا نفسه مرددا : يكفى هذا لليوم والصبر يبلغ الأمل .

سار إلى الباب الرئيسى للكلية مارا بالمدرجات والكافتيريا وحديقة الكلية تذكر قصة حبه التى لم تنته كما حلما ، كانا يدركان النهاية ، لكن لم يتمكنا من التراجع ، فالحب له غلبته.

لم يرها منذ التخرج .

خرج إلى حرارة الشمس والوجوه الكالحة المتأففة والأفواه الملتوية ، انضم إليهم فى انتظار الأتوبيس لم تمر عشر دقائق حتى لمحه يأتى مسرعا بعيدا عن المحطة وفى نيته عدم التوقف ، لم يكن ليتركه و هو يعلم أن واحدا فقط يمر كل نصف ساعة أويزيد ، وفى سباق مع سرعة الأتوبيس ، انطلق يجرى كالسهم ، كان الركاب متدلين من الباب الخلفى متشبثين ببعضهم ، وفى اللحظة المناسبة قفز محاولاً وضع طرف حذائه على السلم والتشبث بالمتشبثين الذين حاولوا رفعه معهم لكنه هوى !

أدرك هذا عندما رأى الأتوبيس فوقه .

ـ الحمد لله .

هكذا تمتم وقلبه يرتجف ، كان يمكن أن يفقد حياته أو جزءاً من أعضاء جسده لكن الله سلم.

تحرر من حرجه ولملم الحذاء والجريدة وإخلاء الطرف ونظف ملابسه

بالضربات المتتالية وعاد إلى مكانه على المحطة ينتظر قائلاً لنفسه : إنه مشهد يتكرر يوميا .

الساعة الثانية ظهرا

الأتوبيس مسرع .. لن يكرر التجربة.

الساعة الثالثة ظهراً

قدماه يبغيان قليلا من الراحة والمقعد الوحيد ممتلىء ١ .. ٢ .. ٣ .. ٤ الصبر .

العادم ينفث سمومه فى وجهه حتى أحاله إلى السواد ، أحس ببعض الضيق ، لكن هذا هو التلوث وهذه هى القاهرة ظهرا .

عندما جاء الأتوبيس الثالث متوسط الحمولة لم يستطع الركض ـ بسبب الرضوض ـ مع كل هذا الكم الهائل من المتسابقين (الناس) .

ـ يا إلهى التتار قادمون .

هكذا سخر فى نفسه.

موعد خروج تلاميذ المدرسة ، يركضون .. يتضاربون .. يتضاحكون .. يملأون المكان بصيحاتهم ، لا أمل ..

مد يده إلى جيبه وأخرج بضعة جنيهات ، فالتاكسى هو الحل ، لكن ثمن الحل لاتملكه يداه ، أيترك المقابلة وهى الأمل الذى يتعلق به كل يوم .

نفير السيارات ، أصوات التلاميذ القافزين بحقائبهم إلى الأتوبيسات مغامرين بحياتهم كل يوم من وإلى المدرسة ، المشاجرات المتعالية بين هذا وذاك ، همهمات المتحدثين ، الشمس الحارقة ، رائحة العرق المختلطة بعادم السيارات بدخان السجائر ، الأمهات الحاملات لأطفالهن الرضع ، الرجال ذوو

الظهور المقوسة والبشرة السمراء ، انتابه شعور بالشفقة على حالهم وحاله فى رأسه تلك الصورة السوداء : آلاف الأحذية التى مرت بهذا المكان وما زال يمر ملايين من البشر إلى فناء ، محن وأزمات قصص وروايات وراء كل وجه ، عذاب وكفاح ، فشل ونجاح والنهاية المختومة قادمة لا محالة ، النضال من أجل لاشىء .. الحياة عبث .. مجرد عبث !

توقف عند تلك الكلمة : عبث .. نعم عبث .

لهذا لم يع ما فعله فى اللحظات التالية بل قرأه فى الجريدة .

مختل عقلياً يطلق النار عشوائيا على رواد محطة عبده باشا

أحقا فعلها ؟! يقولون إنها كانت مذبحة ، انتزع سلاح الرجل الواقف بجواره والمكتوب على ذراعه : قوات أمن القاهرة وبدأ يريح الجميع من شقائهم الرضيع والتلميذ ، الشيخ والشاب والمرأة وبالأخص موظفى الحكومة كانت أمنية قديمة راودته كلما توقف أمام مكتب شئون الطلبة وها هو حققها ، أراح الجميع ، لعل الله غاضب عليه ، دمعت عيناه لكنه صبر نفسه قائلاً : الجميع يبغون الراحة لكنهم يخشون غضب الله وهأنذا أنا حققت لهم مطلبهم مُريحهم وضميرهم.

كان يستند بكفيه إلى إطار النافذة فأطل ليقرأ اللوحة المعلقة بجوار النافذة.

مستشفى الامراض العقلية

وشرد ذهنه عبر الحديقة الغناء .

كم كان قصير النظر عندما أمسك بتلك البندقية وبدأ يرسل هذا وهذه إلى

حتفهم ، لم يفكر سوى فى اللحظة ، فى المكان المحدود لم يفكر فى باقى سكان العالم .. أنانى !

استلقى على السرير متأملاً مفكرا فيما سمعه عن أسلحة الدمار الشامل وآثارها الواسعة .

المركـز السابع

(للوطاويط ذائقـة خـاصّـة)

محمـود أبـو عيشـة
القليوبية

أحببت فايزة فى كل المواسم حتى فى الشتاء ، دون أن يمنعنا برد أو شرد نلتقى ، على مدى سنوات ، قبل زلزال أكتوبر ٩٢ الذى أطاح بكل شىء .

هى من بنات عزبة القاضى الحاضنة لغيطان طوخ من الشرق ، التى أهداها محمد على باشا للسيد موسى ، أحد خدمه سنة ١٨٤٥ ، مكافأة نهاية الخدمة واشتراها محمد البيومى . القاضى بالمحاكم الشرعية ، وانتقلت إلى أولاده بالميراث وفى النهاية باعوها وتفرقت المائة والخمسون فدانا بين الفلاحين الأجراء من أبناء الشراقوة والغزاوية والطهانية والجهينية من أبناء قبلى . الذين تملكوا نصف الأرض التى كانوا يستأجرونها بما عليها من بيوت طينية حقيرة وزرائب لمواشيهم بالإصلاح الزراعى عام ٥٢ واشتروا الباقى من الورثة الذين تفرقوا ، استقر بعضهم فى مشتهر فى بيت الباشا الكبير المبنى على فدان أرض ، وعاد بعضهم إلى الآستانة .

يأتى الأولاد والبنات كل صباح ، يمرون على « مقلب الزبالة » الذى يسمونه المجلس يفتشون عن حلقات أو سلاسل ذهبية ، عيش ناشف جراكن بلاستيك أى شىء ينفع والسلام ، ثم يأتون إلى الغيطان المجاورة ، يجمعون الحشيش والرجلة وورق الذرة الأخضر ، ويدفسون فى هذه الأحمال كيزان الذرة الخضراء ، كل واحدة تحمل عقدتها على رأسها وتنزل السوق فى بندر طوخ . تبيع الحمولة وتتسوق بثمنها إفطارا لايتغير : عيش طابونة وطعمية سخنة وفول مدمس ، يتربص لهم أبى ويجرى وراءهم بشومة غليظة يطوح بها فى الهواء ويضرب بعنف أعمى كاد يقتل واحدة . تشتت الأولاد والبنات مثل سرب عصافير قذف بالحجر ، أنصاف عراة . حفاة يصل القشف والجلخ إلى

ركبهم وأذرعهم لكنها وقفت ساكنة ، لاتبكى ولا تحاول الهرب . رفع أبى العصا لأعلى وعلقها في الهواء ، على أمل أن تجرى ، تستغيث . لم تتحرك، فهوى بها على الأرض وهو يشخط : « غورى يا بنت الكلب هتودينا فى داهية » وتركها ، كنت أجرى فى ذيله ، هدأ قليلاً ومسح عرقه بكم الجلباب البلدى الواسع وقال : « أدى العزب وإللى بيجينا منها ، ملعون أبو الفقر ».

رجعت إليها خلسة ، رأتنى قادما فسحبت الجلباب الممزق فوق ركبتها ، ومسحت دموعها المتحجرة ، طبطبت عليها برفق ،فوجئت بدفئها الأنثوى مثل بنات البندر ، برغم أن ذلك لايبدو من النظرة الأولى ، حدقت فى عينى فيما يشبه الاعتذار ، وانفتحت مرة واحدة فى البكاء ، تشنفت بشدة وعمق : دون أدنى كسوف انتظرت حتى سكتت تماما ، وربطت لها الحمل وعنته عليها بكل ما فيه من كيزان الذرة المسروقة.

نلتقى يوميا فى ظل عيدان الذرة الرفيعة ذات الأوراق المسنونة التى لاتستر من العيون ولاتقى من الشرد ، نختار الأوقات التى تخف فيها الرجل، فى القيلولة ، فى الصبح بدرى ، أنتحل لأبى الأعذار عن الغياب « أنا طالع أشق على الغيط » يفرح بزهو من ملك السند وينفخ عروق رقبته ويقول « روح بس ماتعوقش ».

فى نوبات الرى الأسبوعية ، نذهب إلى الغيط قبل شقشقة النور ، لدرجة أن الواحد لايرى يده ، الحداده رفيعة ساكنة محفوفة بالأشجار وأعواد الذرة التى تشبه رجالا ملثمين ، هواء مرعب ، نمر على الترب ، تبدو أشباحا وعفاريت . يحكى أبى كيف كانوا يتراهنون على من يستطيع الذهاب إلى الترب ليلا ، ولابد من أن يترك علامة أو يأتي ببرهان على صدق كلامه ،

وقال أن البعض عملها على نفسه وآخرين لم يعودوا ، وجدوا فى الصباح مقبورين ، أموت فى جلدى ، دون أن أرتجف يتعجب أبى من حماستى المفرطة ويضرب كفاً بكف. يطلع هو إلى الغيط يقف للماء ويتركنى بجوار الحلوفة ، ويؤكد علىّ ألا أنام ، أسوق الجاموسة أو البقرة التى تدور فى الحلوفة ، كلما توقفت ، وأحيانا الجمل ، الذى يريحنى ولايتوقف كثيرا ، حتى لا انام ، أشغل نفسى بلم حبات البرقوق الحمراء الناضجة ، أحملها من الأرض . وأنفخ فيها حتى يزول عنها التراب والقش ، للوطاويط حاسة ربانية فى اختبار الحبة اليانعة ، تأخذها بين أرجلها من جنيهة « الأفندى » تنقر فيها نقرتين ، تلتهم بعضها ، وتقع منها . أغسلها فى الترعة وأشيلها لفايزة . التى تأتى مبكرا قبل الباقين نفطر معا ونحلى بالبرقوق ، تتمنع عن الأكل وتنظر فى الأرض ، أحلف عليها أن تأكل وألا تهمس « امبارح نمنا من غير عشا » أقبل يدها المقشفة وأقرأ عينيها بنظرة طويلة ثابتة تسحب يدها بسرعة وخجل مش عرفه إحنا ليه كده أبويا موظف فى المجارى وبيشتغل باليومية ، وبرضه مافيش تسع بنات زيىّ بيسرحوا فى الغيطان حوالين العزبة وأمى كمان ، والجدعان لسه صغيرين ومش نافعين فى المدرسة ، يا حزنى إيه النكد ده !

سرحت : كانت بيضاء مشربة بحمرة خفيفة ، قبل أن تتحول إلى الأسمر الملتهب بنار الشمس فازدادت جمالاً بعمق عينيها السوداوين الواسعتين وشعرها الليلى الذى يصل إلى ردفيها . أقول لنفسى بحزن : « وردة مغروسة فى طينة ، تفرق إيه عن بتوع السيما » أتحين فرصة مواتية وألمس كتفها أو يدها، متصنعا العفوية ، تجفل وتطفر دموعها ، يطغى الحلم ، أنتبه من سرحة طويلة : « ربنا يعدلها .. ».

طلع النهار ، وبدأت الرجل تدب ، اقتربت زفة الأولاد والبنات . فاندست وسطهم دون أن يشعروا . استلقيت على ظهرى فوق الغبيط ، أتأمل البقع السماوية الزرقاء من الفتحات بين أوراق شجرة التوت العتيقة التى تفرش ظلها حول مدار الحلوفة فتحمى البهيمة من وقدة الشمس ضربت الجاموسة ثلاث أو أربع عصايات ، وقلت لها :« حى حى حى » ، ونمت.

توقفت الجاموسة نشف الماء الطالع إلي الزرع ، قلق أبى تناوشته الوساوس: ربما تكون الجاموسة وقعت فى بير الحلوفة ، جاء قفزاً ، وجد الجاموسة واقفة تجتر ، وأنا نائم فى أمان الله . جس مقطف العيش فلم يجد الإفطار: تمتم بغيظ مكتوم : « حتى الفطار الفران كلته « قطع فرعاً من التوتة سواه بهدوء ، بمطواة قرن الغزال التى لا تفارق جيب الصديرى ، ونزل فىّ ضرباً ، وهو يسب ويلعن : « قوم يا بغل والله ما أنت نافع فز يا كلب يا ابن.. »

فى قيلولات الخمول المحرمة ، نهايات موسم الذرة ، أسير على الحد ، أعسعس بين خيال أوراق الذرة الشريطية التى تمزق ذراعى العاريتين وصدرى المكشوف من فتحة الصديرى ، وساقى البارزتين من السروال القصير وأتحسس الحرمية . الحرارة تلهب نار الجسد ، أتمنى أن تشق الأرض ع فايزة ، نعيش حياتنا معاً على الأرض دون خوف أو ترقب ، وحشية كاملة ، حتى يمتزج الماء بالتراب ، ويكتمل طيناً نورانياً يذوب فى الأرض ليكون زهرة أو حبة ذرة أو لوزة قطن ، أو حتى فأرا صغيرا أو قطا بريا، أجمع لها الملوخية الخضرا والرجلة ، وأعين عليها العقدة ، تقول وعيناها تضحكان : « لو رجعت فاضية أبويا يموتنى » ، أعود إلى أبى النائم تحت التعريشة فى طراوة

التوتة الدكر ، أو قظة حتى نصلى العصر ، أصلى خلفه بسعادة بالغة ، روحى منتشية ونفسى مكتملة ، ترفرف فى فضاءات الكون الرحبة ، تتوالى المواسم ونكبر معا ، يفرح أبى الذى تفرغ لصلاته فى مصلية الشيخ بيومي وقعدات العصرية وسط لمة الصحاب وترك لى كل شيء ، استنمت تماما لراحة السعادة دون أن أعير اللمزات الخفية لأصحاب أبى أى اعتبار ، حتى جاء الموسم الأخير لجمع القطن ، كنت منهمكا فى مطاردة أبناء العزب الذين يلقطون الجمعة الثانية ويخطفون القطن أول جمعة من غيطنا على الحد ، أسترضيهم تارة وأسألهم عن فايزة التى اختفت منذ شهور ، وأطاردهم تارات بعصا أبى الغليظة ، أطوح بها فى الفضاء وأهوى بها على الأرض ، محدثة صوتا ناريا ، تقع له قلوب الأطفال الصغار ، حتى كدت أفلق بها رأس واحدة منهم ، هويت بها بكل قوة وغل النهارات الملتهبة والجوع والوحشية ، أفلت رأسها ببضع مللميرات تسمرت مكانى وأحسست أن الدنيا تدور بى وتهتز من تحتى، فهبطت على الأرض ، وضعت رأسى بين كفيَّ ، فى المساء تلقانى أبى بفرحة كبيرة ، تكلم بحكمته المحسوبة : « تعرف أنت ابن حلال ، ربنا نجاك من الزلزال النهار ده ، بيقولوا إن نص بيوت العزبة وقعت ، ياالله غاروا فى داهية ربنا ريحنا منهم » لم أرد ، تركته وخرجت تائها لا أعرف ماذا أفعل ، سمعته يضحك من خلفى ويقول : « العبيط كان فاكرنى مش عارف » طاردتنى ضحكته بقسوة فاتنة .

المركـز الثامـن

(المصيــدة)

أيمــن محمد ياسين
القاهــرة

لم يكن لديهم سوي الليل وقد لف المكان بأسره بغلالة سوداء .. حتى الطريق لم يبد منه سوى ما يقتحمه ضوء سيارتهم مقاوما وحده جموع الظلام أو محاولا الاستئناس بهدير المحرك الذى كان يحاول هو الآخر أن يجد صدى لصوته وسط كل هذا الصمت المتراكم .

مال إليه وهمس في شبه اعتذار

- آسف يا حسن .. اعلم أن الوقت غير مناسب .. ولكن ما باليد حيلة.. للظروف أحكام هز حسن راسة دون أن ينظر لزميله وتمتم .

- لا عليك .. لا عليك .

استولى الصمت عليهم مرة أخري .. حاول حسن أن يشغل نفسه بأى شئ يتسلي به عن ما بداخله ولكن الظلام رده مرة أخرى إلي ذلك الداخل ..من..؟ من كان يصدق أن يفقد والده .. من كان يصدق ..؟ منذ ليلة واحدة كان ينام ملء عينيه والآن يشعر أن الدنيا لو أصبحت كلها فراشاً لن يجد النوم له سبيلاً .. لم يكن مجرد أب .. كان كل شيء .. إحساس غريب طالما شعر به تجاهه .. أمن .. طمأنينة .. ثقة . أحبه بشدة وإن كان لم يفاتحه فى هذا الشأن أبداً .. عجباً لماذا نضن بمشاعرنا عن أقرب الناس إلينا وكأننا نتوهم أنهم سيبقون لدينا للأبد وفجأة نلتفت فلا نجدهم ولا نملك حينئذ إلا أن نتسول أمنية البوح لهم فلا نجد سوى صدى المرارة والندم .. كان لديه شعور وكأنه يسير فى الحياة وله ظهر يحميه برغم أن والده لم يكن ذلك السند الذى يعتمد عليه هذه الأيام مقارنة بآباء آخرين ..

مجرد بطل من أبطال دراما الوظيفة الحكومية .. أفنى حياته فيها دون إنجاز يذكر سوى حسن وأخته ورغم ذلك كان هذا الإنجاز طوق نجاة من طوفان

الإحباط والفقر .. دائماً لم يكن له سوى الفخر بأن الموظف المسكين سيكون له ابن طبيب وابنه مهندسة .. إنها لا زالت أضغاث أحلام الطبقة المتوسطة الكادحة .

ارتجت السيارة بشدة على أثر مطب دسه الظلام .. مال إليه مرة أخرى

- حسن .. أخبار الوالدة .. ؟ متماسكة ..؟

لم يجد حسن رغبة فى الحديث .. فتح فمه وسرعان ما أغلقه واكتفى بإيماءة برأسه .. كان على يقين من أن الزميل لايهمه لا والده ولا والدته .. لايهمه سوى مشوارهم هذا والبضاعة هذا والبضاعة التى عليهم مواراتها قبل انسحاب الليل وزفة النهار .. تاه مرة أخرى بين ثنايا الداخل .. هكذا وبكل بساطة .. عصر الأمس تناول الغداء ثم ذهب ليستريح قليلاً كعادته ولكنها كانت الراحة الأبدية .. بكل بساطة وفى ساعة قليلة انتقل من غرفته إلى مقبرته .. أصر خاله أن يدفن فى ذات الليلة .. إكرام الميت دفنه .. حاول الاعتراض .. لم يستطع .. لم يجد حجة يدحض بها استعجال خاله .. داهمه شعور بأنه سرق .. لقد غافله القدر واقتنص منه والده دون أى استعداد منه.. ففكرة الموت لم تكن لتخطر له على بال .

- حسن .. الشارع القادم يمين أو يسار .. لا أذكر ..؟

التفت حوله ...

- لا .. يمين .. يمين فى يمين

توقفت السيارة أمام بيت قديم كهل بدا وكأنه يستند على ما يجاوره ولا يقوى على الانتصاب بمفرده .. صعدا الدرج المتهالك حتى وصلا للطابق الأخير .. أضاء النور الباهت .. تردد فى الدخول وكأنه يستثقل إخبار المكان

برحيل صاحبه فقد كانت هذه الشقة إيجار قديما منذ كان الوالد تلميذا مغترباً بالقاهرة وإيجارها لم يتعد الجنيهات الثلاثة ففضل الإبقاء عليها واستغلها حسن بعد ذلك في البقاء وحيداً لاستذكار دروسه .. ألقى بجسده على مقعد أمام المنضدة ..

- حسن .. أنت متأكد أن عليوة يعرف العنوان ؟ ..

أجاب بضيق

- نعم .. نعم .. هو كلمك الصبح ..؟

أو مأ الزميل بالإيجاب

- نعم وأبلغني أن البضاعة جاهزة والصنف رائع وهو المطلوب تماما .. حاولت تأجيل الموعد لظروف وفاة والدك ولكنه أصر .. وأنت تعلم .. البضاعة لا تستطيع الانتظار .

فرك عينيه المتورمين

- الدكتور محسن عرف؟

رد عليه الزميل بسرعة..

- طبعا .. وسيأتي معه حتى يطمئن على كل شيء .

أطبق الصمت عليهم مرة أخرى .. رفع حسن عينيه

- أمير .. لا أعرف .. لست مستريحا لهذا الموضوع .. ثم إنني ..

قاطعه بسرعة .

- ما الذي يقلقك .. العملية كلها شهر وتخلص ولاتنس أن المكان هنا بعيد عن العيون ويسمح لنا بحرية الحركة .

رد باستغراب

- حرية الحركة..؟

- أكيد .. لاتنس أن هناك خمسة غيرنا ودكتور محسن والمكان مناسب جداً وخاصة أننا نستطيع استعمال البانيو بدلا من البرميل .

تململ فى غير اقتناع ولكن حزنه كان أكبر من رغبته وقدرته على الجدال .. مضى يقلب فى صحيفة قديمة على المنضدة، مضى عليها عدة أشهر .. عناوين كبيرة تتحدث عن السلام فى المنطقة .. خطة الحكومة عن رفع المعاناة عن محدودى الدخل وأنباء عن زلزال مدمر يضرب إحدى الدول العلمانية ورئيسها يبتهل إلى الله أن يرفع عنهم البلاء .. بيع شركات القطاع العام لمن يشترى من أجل مستقبل أفضل ومديرأكبر بنك وطنى يتطلع إلى اليوم الذى يتخصخص فيه مصرفه .

نظر إلى زميله ..

أمير .. تعتقد أن ما نفعله أمر أخلاقى ..؟

حدق فيه أمير باندهاش ثم رد بتردد

- طبعا .. طبعا .. بدونه على الأقل لن نتعلم .. وإذا لم نتعلم فلا مستقبل .

أجاب فى شرود

- ولكن هناك آلاف غيرنا يتعلمون دون جثث أبرياء يمزقونها قطعة قطعة .

ابتسم أمير ابتسامة خفيفة وأشار بإصبعيه

- لاتنس أنها أولاً وأخيرا جثث .. ثم إنها..

قطع حديثهما صوت أقدام متثاقلة حذرة . نظر له فى فرح

- لقد وصلوا توسدت البضاعة بغطاء مترب الصالة .. أنزلها عليوة بحذر ونظر إليهم فى فخر..

- الحمد الله .. كله تمام البضاعة كما طلبتموها بالضبط .. دكر وارد اليوم .. بالتوفيق إن شاء الله وتكون مبروكة عليكم .. وأى طلبات يادكاترة.. أنا تحت الطلب وعموما لو طلبتم بعد ذلك أكتر من حته حيكون فيه أوكازيون فى الأسعار .. بس تفتكرونا فى العيادة عن قريب إن شاء الله ربت دكتور محسن على كتفه ..

- تسلم ايدك يا عليوة .

دس فى يديه مظروفا

- كده يبقى حسابنا مظبوط تحسس عليوة المظروف ثم قبله .. والتفت ليخرج .. حجزه أمير

- انتظر يا عليوه حتى نضعها فى البانيو

ابتسم عليوه ابتسامة واسعة كشفت عن صف أسنان غائب ، بس دى خارج المقاولة ..دى من عندى للدكاترة .

أنتزع الجثة من على الأرض وحملها إلى دوره المياه ومن خلفه سار الجميع وكأنهم فى جنازة هذا المجهول .. فض كفنها وحملها عارية وألقى بها فى البانيو الفارغ.. تقدم دكتور محسن ومضى يقلب فيها نظر إليهم فى سرور .

- كله تمام يا أولاد .. ربنا يوفقكم .. عاينوها بنفسكم .

ندت صرخة عالية جريحة .. ارتمى على الجثة محتضناً إياها .. صارخاً

- أبى .. أبى .. مستحيل .

ظل متشبثا بالجثة وكأنه يحاول استردادها إلى الحياة مرة أخرى .. أو لعله كان يحاول مواراة سوءتها بجسده عن عيونهم .. نزعه بصعوبة أمير وعليوة وسحباه إلى الغرفة .. نظر عليوة إليهم فى بلاهة ..

- أنا ولامؤاخذة مش فاهم حاجة .. هى دى حتة والده لاسمح الله .. ؟

أشار أمير بالايجاب .. صفق عليوة متعجباً ..

- لاحول ولاقوة إلا بالله .. صدفة عجيبة و ..

لم يستطع عليوة استكمال كلماته فقد أطبق حسن على رقبته .

- يا حيوان سترجع الجثمان الآن كما كان والا سأذهب بك إلى ألف داهية

قفز عليه أمير ودكتور محسن حتى نجحا فى تخليص رقبته من بين أصابع حسن .. سقط عليوة على الأرض متقطع الأنفاس .. زعق بصوت متحشرج .

- وأنامالى .. اسمعوا .. أنا نفذت المقاولة المطلوبة .. أى حاجة تانية بمقاولة تانية .. يعنى لامؤاخذة أرجع المرحوم مقاولة .. أجيب حتة تانية .. مقاولة تانية هم حسن بالانقضاض عليه مرة أخرى .. أمسك به دكتور محسن فى عنف ..

- وبعدين يا حسن .. عايزين نتفاهم

رد حسن فى حنق شديد

- مافيش تفاهم .. يرجع الجثمان وإلا سأبلغ البوليس

فتح عليوة فمه فى دهشة ..

- بوليس .. جرى إية يا دكاترة .. إحنا فينا من حكومة .. ده أنا .. قاطعة دكتور محسن فى قرف .

- خلاص .. خلاص يا عليوة .. امش أنت دلوقتى وأنا حتصرف ولما أريدك سأتصل بك .

عم الصمت والوجوم على المكان ولم تبق سوى نهنهة حسن بين الحين والآخر.. أقترب منه دكتور محسن ..

- حسن .. أعلم أن الموقف صعب ولكنها أقدار يا ولدى فمن دون كل الموتى لا يأتى هذا الحمار الإبجثة والدك .. ولكن ماذا تفعل ..؟ إنها أقدار وأنت شاب مؤمن بالله وقدره رمقه حسن بنظرة حانقة ..

- يعنى أية يا دكتور .. ؟ يعنى حنشرح جثمان أبى ؟

رد محسن فى أسى لا يخلو من حنان

- للأسف يا حسن ليس أمامنا سوى ذلك .. ثم أنت ستصبح طبيبا ويجب أن تعتاد من الأن على الفصل بين مشاعرك وبين عملك والا فلن تكون..

اشاح حسن بوجهه فى عنف .

- لايمكن .. لايمكن أن اسمح بهذا

تنمر أمير ..

- ولكن يا حسن لقد دفعنا سته آلاف جنيه فى هذه العملية وأنت تعلم أنك الوحيد الذى لم يدفع مليماً واحداً وكل هذا مقابل استخدامنا شقتك ومراعاة لظروفك .. أنا موافق نرجع الجثة ولكن هل ستحضر لنا أخرى بمعرفتك .. فكر جيداً .. أنا متأكد انك لا تملك ولا أسرتك ربع هذا المبلغ ..

واصل حسن حنقه

- لن ادفع مليما واحدا وسأبلغ البوليس

تنحنح دكتور محسن

- يا حسن هذا التصرف طائش ولا تنس أن هذا الوضع سيضر بنا جميعاً وبسمعتنا .. حقيقى لن نضار قانوناً وسيذهب عليوة فى داهية .. هذا لايهم ولكن المهم أنه وبرغم أن الجميع يفعل ما نفعل ولكن متى جاء اسمنا فى هذا الأمر سنصبح مضغة على كل لسان .. وأنا أستاذ كبير ولن أسمح بذلك أبداً قاطعة أمير بلهجة مسرحية ..

- طبعا .. طبعا يا دكتور .. وحسن فاهم الكلام وأصل محسن كلماته في ثبات .

- يعنى أنت حر .. تستطيع الآن الذهاب إلى من تريد وإبلاغه بما تريد وعن من تريد ولكنى أعدك وبشرفى أنك لن ترتدى فى حياتك بالطو أبيض.. لأنك لن تترك الكلية إلا مفصولاً .. الأمر بين يديك يا ولدى وفى النهاية سيكون الخيار خيارك فلن يجبرك أحد على شئ .. قال عباراته الأخيرة وكأنه يسدل الستار أو يضع نقطة آخر السطر ثم التفت لأمير .

- أمير .. تعال معى لتأخذ كرتونة الفورمالين من السيارة . ارتجف حسن من صفعة الباب .. هم أن يذهب لجثمان والده .. لم يستطع الحراك .. ماذا يفعل ..؟ لابد من أن يوارى الجثمان مهما كان الثمن .. وجد أمير أمامه .. ردفى حدة ..

- أبداً .. أبداً لن أعود بالجثمان .

حاول أمير أن يستخدم اللين فى إقناعة

- اسمع يا حسن .. دعنا نفكر فى هدوء .. المشكلة ليست أبداً الألف جنيه التى دفعتها فى الجثة .. أنت تعلم أن موضوع الفلوس هو آخر ما يهمنى ولكن فكر فى بقية الزملاء .. ألا تعلم أن محمود قد استبدل والده جزء من معاشه من أجل دروس التشريح هذه .. ماذا يفعل ..؟ ثم دكتور محسن .. ألايهمك تهديده وأنت تعلم أنه قادر عليه.

رد حسن فى حيرة.

- يعنى أبيع جثة أبى ؟؟

- أجاب أمير بنفس لهجة الإقناع

- يا حسن افهم .. انه فى النهاية جثمان .. أنه ليس والدك .. اعتبره وعاء والدك .. اعتبره قميص .. بدلة من ملابسه .. من يرقد فى البانيو ليس والدك .. إنه فى السماء الآن

أو ما حسن فى شرود.

- نعم فى السماء ليرى ماذا سيفعل به ابنه.

اعتدل أمير فى جلسته وواصل حديثة

- نعم .. إنه يرانا .. فكر لو كان على قيد الحياة .. ماذا كان قوله .. مستقبلك فى كفة وعواطفك فى كفة .

رد حسن فى عنف واستنكار :

- إنها ليست عواطف .. أنه كيان .. ماضى وحاضرى ومستقبلى .. أبيع أبى بكم ولمن ..؟ ومن أجل ماذا..؟ ماذا سأقول لأحفاده إن سألونى عنه ..؟

تنهد أمير وقال :

- ستقول لهم إنه بذل كل شىء من أجلك .. من أجل أن تصبح طبيبا مرموقاً .. ستقول لهم إنه برغم ضيق حاله لم يبخل عليك حتى بجثته لتكون آخر هدية لك منه . قاطعه فجأة

- أمير .. لو كنت فى موضعى ..

قاطعه الآخر

- بل لو كنت أنت فى موضعى

بادره حسن !

- أنت تجيب عن السؤال بسؤال

أجاب أمير بعصبية :

- وهو كذلك .. اسمع يا حسن .. سأكون صريحا معك .. الفرق كبير .. والدى رجل له أعماله وطموحاته وأنا ومستقبلى كله لا نحتل سوى جزء ضئيل من هذه الطموحات ،، بينما والدك كانت أقصى أماله وأحلامه أن يراك طبيبا .

رد حسن وهو ساهم !

- لذلك يجب بيعه

- نعم ما دام هناك مصلحة ستعود بالخير على أولاده.

- ولكن هناك ما لايجب بيعه مقابل أى مصلحة ..

- لا ياحسن .. هذه التى تقامر بمستقبلك كله من أجلها بعد أقل من ليلة سيكون الفساد قد حصل بها ولن تطيق لها منظراً أو رائحة .. فكر أيهما أفضل .. أن تتركها نهباً للفساد .. أم نستفيد نحن منها وأنت معنا .. أتهدم كل شئ من أجل قيم رمزية قد أكل عليها الزمن وشرب .

انتقض حسن !

- قيم رمزية ..؟ تمسكى بجثمان أبى .. قيم رمزية ؟ الأنه رجل فقير يستخدم لتحقيق أى مصلحة .. لا إنها ليست مجرد جثة .. إنها أصالة وتاريخ أسرة بالكامل .. إنه مهد لمستقبل مئات بل والآف من البشر سيأتون ينتسبون إليه .. أحفاده وأحفاد إلى أن تقوم الساعة .. لا .. لن أبيعه ..لن أبيعه .

رد أمير فى هدوء :

- ياسيدى لا تبيعه .. لاداع لاستخدام تعبير بيع هذا .. فلنقل إنه استثمار .. إنك ستبذل شيئا تملكه مقابل إصلاح أمورك ولكى تستقيم حياتك

وتجعلها أفضل لك وللأجيال القادمة .. يا أخى على الأقل تستطيع المساهمة فى زواج شقيقتك المخطوبة من سنوات .. أليس هذا أقصى ما كان يتمناه والدك .. اسمع يا حسن .. دكتور محسن لدية عرض أخير لك .. سيعطيك درساً فى ثلاث مواد تختارها بنفسك .. فكر وقرر .. الجثة فى البانيو والفورمالين فى الكرتونة والقرار قرارك .

هم أمير بالحركة ثم تردد واخرج منجيبة ظرفاً ولوح به لحسن ثم وضعه على المنضدة قائلا .. ودى .. مساهمة بسيطة من دكتور محسن .. تصبح علي خير .

غرق فى الصمت حتى كاد ينفصل عن الوجود .. فتح الظرف .. أكثر من ثلاثة آلاف جنيه .. أغلق الظرف وذهب فى نوبة تفكير عميق استغرقته بالكامل لسعه شعاع شمس تسلل إليه من النافذة .. قام مكدودا .. كل جزء من كيانه يؤلمه .. هبط الدرج سريعا .. أشار لسيارة أجرة .. القصر العينى من فضلك .. ارتمى على المقعد الخلفى .. مضت السيارة تئن تحت وطأة الزحام.. سحب جريدة السائق .. إنها نفس العناوين .. السلام فى الشرق الأوسط .. مدرب جديد للمنتخب الوطنى بثلاثة ملايين من الجنيهات سنوياً.. خصخصة القطاع العام وفتح الباب للمعاش المبكر للعاملين بها .. ربع مليون جنيه لفنان وفنانه لحضورهما افتتاح مهرجان السينما .. ودعوة فى إعلان للتبرع لمرضى السرطان ولو بجنيه واحد .. أغلق الجريدة وتأفف من توقف جديد للسيارة .. أقتحم النافذة وجه صبى اختلطت تفاصيل وجهه بمخاطه .. مناديل معطرة يا باشا .. استحسن الفكرة .. مضت السيارة من جديد بينما هو يفض كيس المناديل المعطرة ليزيل بها آثار رائحة الفورمالين من على يديه.

فهرس المحتويات

الناشر

دار النيل

للنشر والطبع والتوزيع

١٢ شارع عبده بدران

م الباشا ـ المنيل

ت : ٣٦٢٢٥٧٨

رقم الإيداع بدار الكتب

٢١٣٩٥ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولي

977 - 5414 - 72 - 5